التقدمي

نشرة شهرية يصدرها المنبر التقدمي - مملكة البحرين SDPA 499 العدد 212 السنة 23 - يوليو 2025

الناقص في قرار حظر العمل فترة الظهيرة

موقفنا

مـــــن يُصدّق ترامب؟

لم تكن السياسة الخارجية للولايات المتحدة في أيّ وقت محلّ ثقة ليس من قبل خصومها فقط، وإنما من حلفائها أيضاً، بمن فيهم الذين وضعوا كلّ البيض في سلّتها، فما أكثر ما غدرت بهم، ونكصت بعهودٍ منحتها لهم، وإذا كان الأمر مفهوماً بالنسبة للخصوم، فإنّه بالنسبة للحلفاء جعل من واشنطن حليفاً لا يعتدّ به، خاصةً في المنعطفات الحادة، إذا ما استثنينا من ذلك تحالفها الإستراتيجي مع الدولة الصهيونيّة، بصرف النظر عمّن يكون ساكن البيت الأبيض، جمهوريّاً أم ديمقراطيّاً، فأمن إسرائيل بالنسبة لواشنطن هم أول الأولويات.

يُشكّل رئيس أميركا الحالي، دونالد ترامب، النموذج الحي على عدم صدقية سياسة الدولة التي يطيب لها التفاخر بأنّها الأقوى في العالم، وكأنّ هذه القوة تمنحها حقّ ممارسة الكذب والخداع في علاقتها مع دول العالم المختلفة، حيث قدّم ترامب نفسه، في ولايتيه السابقة والحالية، بأنّه داعية سلام، وأنّ أولويته هي التركيز على داخل أميركا، لجعلها قويّة مرة اخرى، بعيداً عن التورط في حروب جديدة كما يزعم، لكن ما رايناه هو تورطه، غير المسبوق أميركياً، في الحرب على إيران بالشراكة مع الحليف الصهيوني، الذي منحه ترامب كلّ الدعم في مواصلة حرب الإبادة للفلسطينيين في قطاع غزّة، والعمل على تهجيرهم القسري منها، والتصريح، بكل وقاحة، بنيته في تحويل القطاع إلى منتجع يستثمر فيه شخصيّاً.

تجلى نفاق وكذب ترامب في مقدّمات تحضيره، مع نتنياهو، للحرب على إيران، تارةً بتسريب المزاعم عن خلافٍ بينهما، ونشر أخبار مضلّلة عن ضغوط أميركية على نتنياهو لمنعه من ضرب إيران، بهدف طمأنة طهران من أنّ عملاً عسكرياً إسرائيلياً ضدها مستبعد، وتارة بإيهام الإيرانيين أنّه جاد في التفاوض معهم لبلوغ تسوية حول الملف النووي، وعقدت بالفعل عدة لقاءات بين الطرفين بوساطة عمانيّة، وأكثر ترامب القول إنّ إتفاقاً وشيكاً مع طهران قادم.

وتوالى مسلسل الخداع حين صرّح قبل ساعات قليلة من بدء إسرائيل هجومها، بأنّ لا ضربة عسكرية إسرائيلية ضد إيران وشيكة، فيما كان يُنسق الخطوات مع نتنياهو لبدء العدوان، وتكرر الموقف حين قال إنّه سيقرر البت في تدخل واشنطن في الحرب خلال أسبوعين، ولم تمض سوى ساعات حتى أرسل قاذفاته إلى إيران لتكمل ما بدأته إسرائيل من تدمير.

بعد كلّ هذا، الأغبياء وحدهم من سيصدّقون ترامب.

التقدمي

«التقدمي» يدين العدوان الإسرائيلي على إيران ويحذّر من تداعياته على أمن واستقرار المنطقة

أدان المنبر التقدمي العدوان الجوي الواسع الذي شنه الكيان الصهيوني على إيران فجر الجمعة الموافق 13 يونيو 2025، والذي أسفر عن سقوط عدد كبير من الضحايا بين المدنيين والعسكريين، محذرًا من خطورة التصعيد العسكري على أمن واستقرار شعوب وبلدان المنطقة.

وقال المنبر التقدمي في بيان له، إن الغارات الإسرائيلية، التي استهدفت مواقع نووية ومراكز لتخصيب اليورانيوم، تأتي في توقيت بالغ الحساسية، بالتزامن مع الترقب الإقليمي والدولي للجولة السادسة من المفاوضات الإيرانية الأمريكية المزمع عقدها في العاصمة العُمانية مسقط بعد يومين فقط من الهجوم.

ووصف البيان هذا التصعيد بأنه يندرج ضمن سياسة استعراض القوة وفرض أمر واقع إقليمي جديد يخدم الأجندات الصهيوأمريكية، على حساب شعوب المنطقة واستقلال إرادتها السياسية والاقتصادية. كما اعتبر أن العدوان لا يستهدف إيران وحدها، بل يشكل تهديدًا مباشرًا لدول الخليج كافة، ويعرض أمنها وسلامة شعوبها للخطر.

وطالب المنبر التقدمي مجلس الأمن الدولي بتحمّل مسؤولياته واتخاذ موقف واضح إزاء هذا الاعتداء، داعيًا إلى وقف سياسة الكيل بمكيالين والتعامل بجدية مع الانتهاكات المتكررة للقانون الدولي.

كما شدد البيان على أهمية حماية المنطقة من الإنزلاق نحو المزيد من العسكرة، داعيًا إلى إلغاء اتفاقيات التواجد العسكري الأجنبي، والعمل على تكريس نهج السلم والاستقرار الإقليمي.

جمعيات سياسية : العدوان الصهيوني على إيران يستهدف أمن المنطقة والقضية الفلسطينية

أعربت مجموعة من الجمعيات السياسية البحرينية عن إدانتها الشديدة للهجوم الذي شنّه الكيان الصهيوني على الأراضي الإيرانية فجر الجمعة 13 يونيو 2025، مؤكدة أن هذا التصعيد يمثل حلقة ضمن مشروع إقليمي واسع للهيمنة والسيطرة على المنطقة، وتصفية القضية الفلسطينية.

وقالت الجمعيات في بيان مشترك وقعّ عليه كل من: المنبر التقدمي، المنبر الوطني الإسلامي، التجمع الوطني الديمقراطي الوحدوي، تجمع الوحدة الوطنية، جمعية الوسط العربي الإسلامي، والصف الإسلامي، إن هذا العدوان لا يقتصر على استهداف البرنامج النووي أو شخصيات عسكرية، بل يأتي في إطار استراتيجية صهيونية مدعومة دوليًا، تهدف إلى إخضاع دول وشعوب المنطقة لهيمنة سياسية واقتصادية شاملة، بما يخدم المصالح الصهيوأمريكية ويكرّس واقعًا إقليميًا جديدًا على حساب الشعوب العربية والإسلامية.

وحذّرت الجمعيات من أن استمرار التغوّل الإسرائيلي في المنطقة، في ظل صمت دولي وتراخٍ عربي، سيؤدي إلى تفاقم الأزمات الإقليمية، ويدفع بالمنطقة نحو مزيد من الفوضى والتهديدات الوجودية، سواء من خلال العدوان العسكري أو المخاطر الإشعاعية المرتبطة باستهداف المنشآت النووية.

وأكّد البيان على ضرورة تفكيك الترسانة النووية الإسرائيلية، وإعلان منطقة الشرق الأوسط خالية من الأسلحة النووية، محذرًا من العواقب البيئية والإنسانية لأي استهداف للمنشآت النووية في المنطقة.

كما شددت الجمعيات على أن استمرار العدوان على إيران يأتي في سياق المخطط ذاته الذي يستهدف تصفية القضية الفلسطينية، داعية إلى توحيد المواقف العربية خلف حقوق الشعب الفلسطيني، ووقف الاعتداءات المستمرة على المدنيين في غزة.

واختتم البيان بدعوة القيادات الخليجية والعربية إلى تحمل مسؤولياتها التاريخية، ومراجعة السياسات الإقليمية بما يحفظ أمن الشعوب واستقرار الدول، محذرًا من أن التردد أو الصمت في هذه المرحلة لن يُفهم إلا كتشجيع على مزيد من العدوان.

طالبت بدعم رسمي لإيصال المساعدات إلى غزة

جمعيات سياسية بحرينية تستنكر اعتداء الاحتلال على سفينة «مادلين»

أعربت ثماني جمعيات سياسية بحرينية عن استنكارها الشديد للاعتداء الذي نفذته قوات الاحتلال الإسرائيلي بحق سفينة «مادلين» الخيرية، والتي كانت في طريقها إلى قطاع غزة في مهمة إنسانية تهدف إلى كسر الحصار وتقديم المساعدات الإغاثية.

وقالت الجمعيات: المنبر التقدمي، تجمع الوحدة الوطنية، التجمع القومي الديمقراطي، التجمع الوحدوي، الصف الإسلامي، المنبر الوطني الإسلامي، الوسط العربي الإسلامي، والتجمع الوطني الدستوري، في بيان مشترك: إن قوات الاحتلال اعترضت السفينة في المياه الدولية باستخدام الزوارق الحربية، وأقدمت على محاصرتها بطريقة عدوانية، بينما حلّقت طائرات مسيّرة فوق السفينة وأسقطت مادة بيضاء مجهولة على سطحها، في انتهاك خطير للمعايير الإنسانية وسلامة المتطوعين المدنيين، أعقبه احتجاز تعسفي لطاقم السفينة والنشطاء المتطوعين.

وحملت الجمعيات الكيان الصهيوني المسؤولية الكاملة عن سلامة المتطوعين، معبرة عن تضامنها الكامل مع طاقم السفينة، ومشيدة بشجاعتهم في أداء مهمتهم الإنسانية رغم المخاطر.

كما دعت الجمعيات الدول العربية إلى التدخل العاجل لفتح المعابر وإيصال المساعدات إلى غزة، وطالبت المجتمع الدولي ومنظمات حقوق الإنسان باتخاذ مواقف واضحة تجاه الانتهاكات المستمرة التي تمارسها سلطات الاحتلال بحق القوافل الإنسانية.

فضفضة

ترميم البيت الداخلي

عيسى الدرازي

تعيش منطقتنا في هذه الأيام على وقع توترات متصاعدة، وحروب تزداد ضراوةً وتعقيدًا، لتلقي بظلالها القاتمة على دول الجوار وحتى البعيد منها على حد سواء. ورغم أن بعض الدول قد لا تكون في مرمى النيران المباشرة، إلا أن تأثير هذه الاضطرابات لا يقف عند الحدود، بل يمتد إلى الداخل، فيصيب الاستقرار الاقتصادي، ويغذي القلق الشعبي، ويزيد من تعقيد الأولويات الوطنية.

وفي خضم هذا المشهد المضطرب، تبدو الحاجة أكثر إلحاحًا إلى إعادة التوازن إلى الداخل، فالمناخ الدولي المتقلب يستدعي يقظة داخلية، تستند إلى رؤية واضحة تُعلي من شأن التماسك الوطني، وتمنح الأولوية لترميم البيت الداخلي وصيانته. وهذا لا يتحقق إلا بتأمين الجبهة الداخلية، ومواجهة التحديات التي تثقل كاهل المواطن وتعرقل التنمية.

في البحرين، نحن بأمسّ الحاجة اليوم إلى معالجة حقيقية لعدد من الملفات العالقة منها السياسي والاجتماعي والاقتصادي، وهي تمس حياة الناس بشكل مباشر، كملف السجناء، والبطالة، والوضع المعيشي، والمشاركة السياسية الفعلية. لا يجوز أن تبقى هذه القضايا رهينة للظروف الخارجية أو مؤجلة بانتظار ما قد تأتي به التطورات الإقليمية. إنها قضايا وطنية بامتياز، ومسؤولية حلّها تقع في المقام الأول على عاتق المؤسسات الوطنية.

إن تحصين الوطن يبدأ من الداخل، وحفظ الأمن والاستقرار لا يكون فقط بتقوية أدوات الردع، بل أيضاً ببناء جسور الثقة، وترسيخ العدالة، وتحقيق الكرامة المعيشية لكل فرد. في زمن الأزمات، تكون الجبهة الداخلية هي السند الحقيقي، وهي التي تحمي الوطن حين تشتد العواصف من حوله.

إن الدعوة اليوم هي للتركيز على الداخل، لا بمعزل عن الخارج، بل انطلاقاً من وعي بأن الصمود أمام التحديات لا يُبنى إلا على أرضية وطنية صلبة. وإن صيانة البيت البحريني من الداخل، وتحصينه من الهزات الخارجية، هو واجب الساعة، وسرّ النجاة.

نقابة عمال «أسري» تبحث احتياطات السلامة في الظروف الطارئة وتدعو للالتزام بحظر العمل وقت الظهيرة

عقدت نقابة عمال شركة الخليج لدرفلة الألمنيوم (أسري) اجتماعها الأسبوعي الاعتيادي، حيث ناقشت عدداً من القضايا العمالية والمستجدات ذات الصلة ببيئة العمل والسلامة المهنية.

وقدّم رئيس النقابة، عبدالله المسجن، خلال الاجتماع عرضاً شاملاً تناول فيه أبرز المواضيع العمالية، مع التركيز على مستجدات الظروف الطارئة في بيئة العمل، وأهمية الالتزام بإجراءات الصحة والسلامة المهنية المعمول بها في الشركة.

كما ناقش الاجتماع بدء سريان قرار حظر العمل وقت الظهيرة خلال فصل الصيف، والذي يهدف إلى حماية العمال من التعرض المباشر لأشعة الشمس خلال ساعات الذروة. وشددت النقابة على ضرورة التزام جميع الأقسام والإدارات بهذا القرار، لما له من أثر مباشر على سلامة وصحة العاملين.

وفي ذات السياق، تم استعراض الحملة التوعوية الصيفية السنوية التي تنظمها النقابة، والتي تركز على الوقاية من ضربات الشمس والإجهاد الحراري، وذلك ضمن جهودها المتواصلة لتعزيز الوعي العمالي بإجراءات الحماية خلال أشهر الصيف.

وأكدت النقابة التزامها بمتابعة جميع القضايا التي تمس سلامة العمال وحقوقهم، والعمل بالتنسيق مع الإدارة لضمان بيئة عمل آمنة وصحية للجميع.

غرفة البحرين: فجوة الأجور والرعاية الأسرية أبرز تحديات المرأة في القطاع الخاص

أكدت آلاء منصور، رئيس البحوث في غرفة تجارة وصناعة البحرين، أن المرأة البحرينية لا تزال تواجه تحديات متعددة في سوق العمل، لاسيما في القطاع الخاص، رغم التقدم المحرز في مجالات التوظيف وتمكين المرأة.

جاء ذلك خلال مشاركتها في جلسة حوارية نظمتها لجنة المرأة العاملة والطفل بالاتحاد الحُر لنقابات عمال البحرين، تحت عنوان «واقع تكافؤ الفرص بين الرجل والمرأة في مملكة البحرين – التحديات والآفاق المستقبلية».

وسلطت منصور الضوء على مؤشرات مشاركة المرأة البحرينية في سوق العمل، مشيرة إلى أن عدد النساء العاملات في القطاع العام يبلغ نحو 27،909 امرأة، مقابل 37،381 امرأة في القطاع الخاص. وأوضحت أن متوسط سنوات الخدمة عند الانتهاء من العمل يبلغ 12 سنة.

وفيما يتعلق بمواقع صنع القرار، كشفت أن نسبة مشاركة المرأة البحرينية في الوظائف التنفيذية في القطاع الحكومي تصل إلى 50٪، وترتفع إلى 64٪ في الوظائف التخصصية، بينما تمثل النساء 60٪ من إجمالي القوى العاملة في هذا القطاع. أما في القطاع الخاص، فإن نسبة البحرينيات في سوق العمل لا تتجاوز 36٪، وهي النسبة ذاتها في المناصب التنفيذية حتى منتصف عام 2024.

وحول التحديات، بيّنت منصور أن فجوة الأجور تُعد من أبرز العقبات، موضحة أن عدد الرجال الذين يتقاضون أكثر من 1000 دينار شهريًا يبلغ ضعف عدد النساء، وكذلك في شريحة الأجور بين 800 و999 ديناراً.

كما أشارت إلى تحدي عدم تكافؤ إجازات الرعاية بين القطاعين العام والخاص، حيث تُمنح المرأة العاملة في القطاع الحكومي إجازة رعاية أطول مقارنة بالقطاع الخاص، مما ينعكس على خياراتها المهنية وقدرتها على التوفيق بين العمل والأسرة.

ولفتت كذلك إلى أن قصر إجازة الأبوة في القطاع الخاص، والتي لا تتعدى يومًا واحدًا، يعد عائقًا إضافيًا أمام دعم المرأة خلال فترة ما بعد الولادة، مما يُضعف التوازن الأسري والمجتمعي في بيئة العمل.

أخبار الخليج: ١٢ يونيو ٢٠٢٥

العمل الدولية ترفع عضوية فلسطين إلى دولة مراقب

وافقت منظمة العمل الدولية، خلال جلسة عامة لمؤتمر العمل الدولي المنعقد في جنيف في دورته الـ113، على منح فلسطين صفة «دولة مراقب غير عضو» في المنظمة، يحق لها المشاركة في دورات مؤتمر العمل الدولي والاجتماعات الإقليمية للمنظمة بوفد ثلاثي يمثل الحكومة وأصحاب العمل والعمال، إضافة إلى السماح لها بالتدخل في المناقشات العامة واللجان الفنية، من دون حق التصويت أو تقديم مقترحات.

وافقت منظمة العمل الدولية، اليوم الجمعة، على منح فلسطين صفة «دولة مراقب غير عضو» في المنظمة، يحق لها المشاركة في دورات مؤتمر العمل الدولي والاجتماعات الإقليمية للمنظمة بوفد ثلاثي يمثل الحكومة وأصحاب العمل والعمال، إضافة إلى السماح لها بالتدخل في المناقشات العامة واللجان الفنية، من دون حق التصويت أو تقديم مقترحات.

جاء ذلك، خلال جلسة عامة لمؤتمر العمل الدولي المنعقد في جنيف في دورته الـ113، حيث جرى التصويت بأغلبية كبيرة على مشروع القرار الذي حمل عنوان «وضع فلسطين في منظمة العمل الدولية، وحقوق مشاركتها في اجتماعات المنظمة»، واعتمدته لجنة الشؤون العامة في وقت سابق.

وكانت الجمعية العامة للأمم المتحدة، تبنت قراراً في 10 مايو 2024، دعا وكالات الأمم المتحدة المتخصصة بما فيها منظمة العمل الدولية، إلى اعتماد ترتيبات إضافية تتيح لفلسطين توسيع حقوق المشاركة في الأجهزة الرسمية.

وكالات: ٦ يونيو ٢٠٢٥

كاريكاتير
خالد الهاشمي

نقلاً عن حساب الفنان على «انستجرام»

المحكمة الإدارية تبطل دعوى الاتحاد العام لانتخابات مجلس نقابة «جارمكو»

قضت المحكمة الكبرى الإدارية ببطلان الدعوة الصادرة عن الاتحاد العام لنقابات عمال البحرين لانتخاب مجلس إدارة جديد لنقابة عمال شركة الخليج لدرفلة الألمنيوم (جارمكو)، مع ما يترتب على ذلك من آثار قانونية، ورفضت دعوى الاتحاد لرفعها من غير ذي صفة، وألزمته بالمصاريف وأتعاب المحاماة في الدعويين.

وأكدت المحكمة أن قانون النقابات العمالية كفل للنقابات استقلاليتها في إدارة شؤونها، بما في ذلك تشكيل أجهزتها واتخاذ قراراتها، دون تدخل من الاتحاد العام، ما لم تنطبق شروط التدخل المحددة قانونًا، وهو ما لم يتحقق في هذه الحالة.

ورفضت المحكمة دفوع الاتحاد القائلة بانتهاء صلاحية مجلس النقابة بسبب تقاعد عدد من أعضائه، وأوضحت أن تقاعد العضو لا يُسقط عضويته تلقائيًا إلا في حالات محددة لا تنطبق هنا، كما اعتبرت الإفادة الرسمية الصادرة عن وزارة العمل دليلاً كافيًا على شرعية المجلس الحالي ورئيسه المنتخب للدورة 2025-2028.

وجاء الحكم بعد دعوى رفعتها نقابة «جارمكو» طالبت فيها بوقف تدخل الاتحاد العام والشركة في شؤونها الداخلية، خاصة ما يتعلق بالدعوة إلى انتخابات جديدة للمجلس دون سند قانوني.

«أخبار الخليج» – ٧ يونيو ٢٠٢٥

دقيقة حداد على روح الفقيد

في حفل تأبيني

التقدمي يحيي ذكرى المناضل والمربي الراحل إبراهيم الجمري

جانب من الحضور

الفنان أحمد الغانم

أقام المنبر التقدمي بمقرّه حفلًا تأبينيًا استثنائيًا إحياءً لذكرى الرفيق الراحل الأستاذ إبراهيم الجمري، أحد أبرز رموز التنوير والعمل الوطني والاجتماعي في البحرين، الذي كرّس حياته من أجل التعليم، والنضال، وخدمة الناس.

وشهد الحفل، الذي حضره عدد من الشخصيات الوطنية والاجتماعية والثقافية ورفاق درب الراحل، فقرات متعددة استحضرت ملامح سيرته النضالية والتربوية والإنسانية، حيث ألقى الأمين العام للمنبر التقدمي الأستاذ عادل المتروك كلمة استذكر فيها مسيرة الجمري الحزبية والنضالية منذ انضمامه إلى جبهة التحرير الوطني البحرانية وحتى انخراطه لاحقًا في صفوف المنبر التقدمي، مشيدًا بدوره كمناضل جسور ترك بصمةً واضحة في العمل الجماهيري والاجتماعي.

كما ألقت العائلة كلمة مؤثرة عبّر فيها نجل الراحل خليل الجمري عن امتنان العائلة لهذه اللفتة الوفيّة، مستعرضًا الأبعاد التربوية والإنسانية والوطنية في شخصية والده، الذي وصفه بـ «المعلم الرسالي» وصاحب القلب المفتوح لكل الناس.

وتحدّث النائب الدكتورمهدي الشويخ باسم أصدقاء الراحل، مستذكرًا مراحل النضال المشترك واللحظات الإنسانية العميقة التي جمعتهم، مشيرًا إلى الأثر الكبير الذي تركه الجمري في قريته باربار والقرى المجاورة، خصوصًا في مجالات محو الأمية والعمل الخيري ودعم التعليم.

وتخلل الحفل عرض فيلم وثائقي تسجيلي من إخراج محمد شاهين، إلى جانب فقرة موسيقية للفنان أحمد الغانم، أضفت بعدًا وجدانيًا على أجواء المناسبة التي عبّرت عن وفاء رفاقه ومحبيه لسيرته الزاخرة بالعطاء.

الأمين العام: إبراهيم الجمري مناضل استثنائي ترك بصمته في كل مرحلة

أكّد الأمين العام للمنبر التقدمي الأستاذ عادل المتروك، خلال كلمته في حفل التأبين الذي أقامه التقدمي لوداع الراحل الأستاذ إبراهيم الجمري، أن الفقيد كان شخصية وطنية استثنائية ومناضلاً فذّاً، كرّس حياته في خدمة القيم التقدمية والوطنية، وترك أثرًا عميقًا في مسيرة العمل الحزبي والاجتماعي والثقافي في البحرين.

وأشار المتروك إلى أن الجمري، الذي وُلد في مطلع خمسينيات القرن الماضي في قرية باربار، نشأ في بيئة مشبعة بالترابط الاجتماعي والموروث الشعبي، حيث تشكّلت شخصيته بين المزارع ومياه البحر، واكتسب منها روح الجماعة، وحسّ الانتماء، وصلابة المواقف. وأضاف: أن عشقه للحياة بكل ما فيها من تفاصيل، من الطبيعة إلى الموسيقى، انعكس على روحه المحبة للناس وانخراطه العميق في قضايا مجتمعه.

وأوضح أن بوادر الوعي السياسي المبكر ظهرت عليه في سنوات دراسته الإعدادية، حيث جذب اهتمام القيادات الجبهوية في جبهة التحرير الوطني البحرانية، التي انخرط فيها منذ شبابه المبكر، وأصبح لاحقاً

عادل المتروك

أحد أعمدتها في قرية باربار ومحيطها، موظفاً كل قدراته في العمل الجماهيري وتنظيم الطاقات الشابة ضمن مشروع وطني تحرري وتقدمي.

ونوّه الأمين العام إلى الدور الريادي الذي لعبه الراحل في تأسيس نادي باربار، وتحويله إلى حاضنة ثقافية واجتماعية، ترعى الندوات وتدعم الموهوبين، وتسهم في محو الأمية وتعزيز قيم التكافل الاجتماعي، مضيفاً أن الجمري لم يكن يرى في العمل الاجتماعي سوى امتداد طبيعي لقناعاته الفكرية وانتمائه الحزبي.

واستذكر المتروك المحطات النضالية التي خاضها الجمري، وعلى رأسها فترة اعتقاله عام 1986، التي تعرّض فيها لأشكال قاسية من التنكيل الجسدي والمعنوي، وقيادته إضراباً عن الطعام مع رفاقه داخل السجن لتحقيق مطالب إنسانية، مؤكداً أن هذه التجربة لم تثنه عن مواصلة نضاله، بل زادته إيماناً بقضية الوطن والشعب.

وأشار كذلك إلى الدور البارز الذي أداه الجمري بعد الانفتاح السياسي في أوائل الألفية، حيث كان من أوائل المنضمين إلى صفوف المنبر التقدمي عند تأسيسه، وأسهم بفعالية في إعادة بناء المشروع التقدمي في صورته العلنية، وظل فاعلاً في لجان المنبر وقطاعاته حتى أواخر أيامه.

واختتم المتروك كلمته قائلاً: "رحل أبو خليل جسداً، لكن حضوره لا يزال حيًّا فينا روحاً وفكراً. لقد فقدنا رفيقاً لا يُقدّر بثمن، وواحداً من الرجال الذين لا يعوّض غيابهم بسهولة. لذكراه المجد، ولروحه الخلود، ولعائلته ورفاقه وأصدقائه بالغ المواساة".

خليل الجمري: والدي كان قدوة تمشي.. ومؤسسة تُلهم

عبّر خليل إبراهيم الجمري، نجل الراحل الأستاذ إبراهيم الجمري، خلال كلمته في حفل التأبين الذي أقامه المنبر التقدمي، عن امتنان العائلة لكلّ من شاركهم لحظة الوفاء لفقيدهم، مؤكداً أن الراحل لم يكن مجرد فرد في المجتمع، بل قامة وطنية وإنسانية وتربوية كان لها أثر عميق في نفوس كل من عرفه.

وقال خليل الجمري إن والده كان «ركيزةً أساسية في حياتنا، وواحداً من أولئك الذين نستدل بهم على المعنى الحقيقي للمعلم الرسالي والإنسان الذي يزرع الخير بصمت». وبيّن أن سيرته لم تكن حافلة بالعطاء فحسب، بل كانت مشبعة بالقيم والتواضع والحكمة، وكان حضوره في المجتمع «وزناً أخلاقياً وثقافياً لا تفرضه المناصب، بل تفرضه الأخلاق والوقار».

وأشار إلى أن إبراهيم الجمري، المعروف ببساطته وقربه من الناس، لعب دوراً محورياً في دعم التعليم في القرية، وخاصة في تشجيع تعليم الفتيات ومحو أمية الكبار، كما كان أحد أوائل المبادرين للعمل الخيري والدعم الاجتماعي، جامعًا التبرعات وموزعًا إياها بنفسه، دون إعلان أو طلب للثناء.

ولفت إلى أن الفقيد ساهم في تأسيس برامج التكافل الاجتماعي والمبادرات الثقافية من خلال نادي باربار، حيث شارك في لجانه المختلفة وكان من أبرز الداعمين للأنشطة الشبابية والرياضية والاجتماعية، مؤمنًا أن الثقافة والتواصل بين الناس أساس لبناء المجتمع.

كما سلط الضوء على التزام الجمري الوطني، وانحيازه الدائم لقضايا الكادحين والبسطاء، مشيراً إلى أن مواقفه لم تكن شعارات، بل ممارسات حقيقية دفع ثمنها عن قناعة وإيمان بعدالتها، قائلاً: «كان وطنياً يرى في حب الوطن عملاً لا قولاً، وموقفاً لا حياد فيه حين يتصل الأمر بالحق».

وفي الجانب العائلي، وصف الابنُ والده بأنه «قدوة تمشي، ومؤسسة تُربي، وشخصية تُلهم»، قائلاً: «أسميت ابني إبراهيم تكريمًا له، لأنه الرجل الذي أسرف في العطاء، وغالى في الكرم، وأجزل في التضحية»، مؤكداً أن رحيل والده ترك فراغاً لا يُملأ، لكن أثره باقٍ في من عاشوا معه وتعلموا منه.

واختتم خليل الجمري كلمته قائلاً: «نم قرير العين يا أبي، فقد أديت الأمانة، وبلغت الرسالة، وزرعت الخير في كل أرض مشيتها. وداعاً يا من كنت لنا أباً، ومعلماً، ورفيقاً».

خليل الجمري

مهدي الشويخ: كان الفقيد منارة للوعي وترك بصمة لا تُنسى

أكّد النائب د. مهدي الشويخ، خلال كلمته التي ألقاها باسم أصدقاء الراحل الأستاذ إبراهيم الجمري، أن الفقيد شكّل حالة استثنائية في الذاكرة الجماعية لأبناء قريته ومحيطه، بما امتلكه من صفات إنسانية ونضالية جمعت بين التواضع والصلابة، وبين العمل الميداني والرؤية الثقافية التنويرية.

وأشار الشويخ إلى أن علاقته بالجمري تعود إلى مراحل مبكرة من العمر، حين كان الراحل، الأكبر سنًا بين أقرانه، يعمل إلى جانب والده في مهنة صيد الأسماك، ويغرس في نفوس الأطفال حب الحياة والطموح.

وقال إن مجلس والد الجمري كان ساحةً للحوارات المجتمعية المبكرة، حيث تشكل وعي الفقيد بمسؤولياته تجاه الناس وقضاياهم، مؤكداً أنه حمل منذ صغره همّ الوطن وسعى ليكون صوتًا لمن لا صوت لهم.

وأوضح أن الجمري كان قريبًا من الناس جميعًا، دون تمييز أو تكلّف، يحترمه الصغير والكبير، ويطرق أبواب الفقراء لا ليرى حالهم فحسب، بل ليشاركهم قسوة العيش ويسهم في تخفيفها. وأضاف: "كان يجمع التبرعات ويوصلها بيده، ويفعل ذلك بصمت، كما لو أن فعل الخير واجبٌ لا يحتاج إعلانًا".

واستعرض الشويخ الدور الذي لعبه الجمري في تحويل نادي باربار إلى منصة للتنوير المجتمعي، حيث افتتح مركزاً لمحو الأمية، واستقطب إليه الكبار والصغار، وشجّع المتفوقين على مواصلة دراستهم العليا، داخل البحرين وخارجها. وقال إن الجمري لم يرَ الثقافة والوعي ترفًا، بل ضرورة إنسانية ومجتمعية، وكان يقف خلف كل مبادرة تنويرية أو تطوعية تُعزز من دور النادي كمؤسسة تعليمية واجتماعية لا تقتصر على الرياضة.

ونوّه إلى أن حياة الجمري كانت حافلة بالحيوية والعطاء، ولم يمرّ بمحطة إلا وترك فيها أثراً واضحاً، مؤكداً أن وفاءه وثباته كانا محل إجماع كل من عرفه، وأنه كان رمزاً للعمل الجماعي الجاد والمسؤولية الوطنية، مشيراً إلى أن حالته الصحية لم تمنعه من البقاء قريبًا من أصدقائه ورفاقه، وظل منزله مفتوحًا كعادته، يبادل زائريه الابتسامة، ويتحدث إليهم بحكمته وفكاهته المعهودة.

كما أشار إلى الحفل التكريمي الذي نُظّم له قبل وفاته بفترة وجيزة في نادي باربار، بحضور واسع من مختلف مناطق البحرين، تقديرًا لمسيرته الطويلة الممتدة لنحو خمسة عقود. وقال: "لم تكن تلك المناسبة مجرد احتفاء، بل كانت اعترافًا جماعيًا بقيمة الرجل وما مثّله من نموذج إنساني ووطني نادر".

وفي ختام كلمته، وجّه الشويخ تحية خاصة لزوجة الفقيد، السيدة "أم خليل"، مشيدًا بوفائها وصبرها ودورها الداعم والمساند للراحل في مختلف مراحل حياته، مؤكداً أن سيرتها إلى جانبه تمثل شراكة حقيقية في العطاء والصمود.

مهدي الشويخ

إبـراهيم الجمـري: ابــن البحــر... وصــوت التنـــويـــر

في قريةٍ يحتضنها الموج ويعانقها الزرع، ولد إبراهيم الجمري سنة 1952، بوصفه البكر لعائلةٍ جمعت بين شظف العيش وكرامة الوجدان. نشأ في كنف عائلةٍ واسعةٍ كجذور النخيل، متماسكة كموج البحر، تعمل في صيد الأسماك والزراعة، وتؤمن بالتكافل سبيلاً للحياة. منذ صغره، تنفّس الأستاذ إبراهيم هواء الجماعة، وتشرب روح التعاون، وانفتح على العالم من بوابة الحقول وأشرعة الصيادين. لكن قلبه كان يرف باتجاه آخر، نحو أسئلةٍ لا تهدأ، ونحو معرفةٍ تتجاوز ظاهر الأشياء.

في مدرسة البديع، اكتشف أن العالم أوسع من أسوار القرية، وأن العقول تتفاوت كما تتفاوت أمواج البحر. هناك، نسج صداقات من قرى البحرين، وخاض سجالات فكرية ودينية، وكان يجد في معلميه، لا سيما الأستاذ محمد حسين نصر الله، نماذج للمعرفة والتأثير. كان هؤلاء المعلمون هم المرآة الأولى التي انعكست عليها ملامح شخصيته الثقافية والتنويرية.

حين انتقل إلى مدرسة المنامة الثانوية، وجد نفسه في قلب التحوّلات الوطنية، وهناك بدأت ملامح التزامه السياسي والفكري بالتشكل. لم يكن متفرجًا على التاريخ، بل صانعه. اختار الانتماء إلى جبهة التحرير الوطني البحرانية، وكان من أبرز نشطائها في قرية باربار والقرى المجاورة، يحمل على كتفيه أحلام التغيير، ويمضي في سبيلها بعزيمة المؤمن بأن الوطن

لا يُبنى إلا بالعدالة، والكرامة، والوعي.

دخل سلك التعليم، فكان أول معلم من قريته، وسرعان ما أصبح اسماً لامعاً في أذهان الطلبة وأولياء الأمور. لكن التعليم لم يكن محطته الوحيدة. فقد عرفته المنابر الثقافية قائداً للحراك الفكري في نادي باربار، حيث تولى مسؤولية المكتبة، ورئاسة اللجنة الثقافية، وأطلق الفعاليات، والمسرحيات، والمعارض، والندوات، وأحيا المناسبات الثقافية بروح لا تهدأ.

لم يكن مجرد مثقف، بل كان مثقفًا عضويًا، يحاور، يناقش، يقرأ بنهم، ويشارك مكتبته مع من حوله. حمل شعلة التنوير في وجه دعاة الانغلاق، ولم يتراجع أمام المعارضات أو الضغوط، وظل صامدًا، يزرع في أجيال قريته حب المعرفة وجرأة التفكير.

ومع بزوغ عهد الإصلاحات السياسية، وبعد التصويت على ميثاق العمل الوطني، انتقل الأستاذ إبراهيم إلى العمل العلني، فانضم إلى المنبر التقدمي، مجسدًا فكره الطلائعي التقدمي، مساهماً بفعالية في نشر الوعي، وتعزيز الثقافة الوطنية والانفتاح الفكري، عبر المقال، والندوة، والنقاش، والعمل اليومي.

ولأنه ينتمي إلى زمن الفكرة أكثر من زمن المناصب، فقد ظلّ حضوره في الشأن العام راسخًا منذ مراهقته، ملتزمًا بقضايا الإصلاح والعدالة، منتميًا للتيارات الوطنية، منحازًا للناس، وكان قريبًا من الجميع، حتى من اختلف معه. لم يكن يتهرب من المعركة الفكرية، لكنه خاضها دومًا بأخلاق عالية وإيمان عميق بأن التنوير لا يُفرض، بل يُنبت ببطء في العقول.

إبراهيم الجمري هو ابن بيئته، لكنه أكبر منها. هو حصيلة البحر، والمدرسة، والنضال، والتجربة، والانتماء. وهو أيضًا ذلك الصوت الداخلي الذي لا يهدأ، الحالم دومًا بغدٍ أجمل، ووطن أعدل، وعقولٍ أوسع أفقًا.

تمديد فترة حظر العمل وقت الظهيرة خطوة مهمة

يجب أن تتبعها عدة خطوات كي تكتمل

أعلن وزير الشؤون القانونية وزير العمل بالوكالة، يوسف بن عبد الحسين خلف، أن وزارة العمل ستبدأ تطبيق القرار الوزاري رقم (٣) لسنة ٢٠١٣، المعدل بالقرار رقم (١١) لسنة ٢٠٢٥، بشأن حظر العمل وقت الظهيرة، والذي يحظر تشغيل العمال الذين تقتضي طبيعة عملهم التواجد تحت أشعة الشمس وفي الأماكن المكشوفة، من الساعة ١٢ ظهرًا وحتى الساعة ٤ عصرًا، خلال الفترة من ١٥ يونيو إلى ١٥ سبتمبر. بعد أن كان سابقاً يمتد من بداية يوليو ولنهاية أغسطس، وبذلك تم تمديد فترة الحظر اعتبارًا من العام الجاري لثلاثة أشهر بدلًا من شهرين، والذي بدأ فعلاً في ذات التاريخ.

فلاح هاشم

وإذ نحيي سعادة الوزير ونشكره على هذا القرار المهم، والذي جاء متوافقاً مع دعوة نيابية سابقة قدمتها "كتلة تقدّم" البرلمانية في يونيو 2019، أي قبل 6 سنوات، حيث طالبت فيها بضرورة مراجعة قرار حظر العمل وقت الظهيرة ليشمل الفترة التي نصّ عليها قرار الوزير (منتصف يونيو حتى منتصف سبتمبر) أسوة بما هو معمول به في الشقيقتين المملكة العربية السعودية ودولة الإمارات العربية والعديد من دول المنطقة، وعملاً بمبدأ الوقاية، وحماية العمال، وتماشياً مع ما صادقت عليه مملكة البحرين من اتفاقيات ومعاهدات دولية في هذا الإطار، خاصة اتفاقية منظمة العمل الدولية رقم (155) لسنة 1981 بشأن السلامة والصحة المهنيتين وبيئة العمل، والتي صادقة عليها مملكة البحرين وفق القانون رقم (25) لسنة 2009.

ولتكتمل هذه الخطوة في حماية العمال لابد من تطبيق مجمل بنود الاتفاقية المذكورة أعلاه بتأمين التالي:

أولاً، شراكة فعلية لجميع أطراف الإنتاج، حكومة وأصحاب عمل وعمال، ممثلين في تنظيماتهم النقابية وتحملهم مسؤولياتهم وهذا ما تنص عليه الاتفاقية المذكورة أعلاه خاصة في المادة التاسعة عشر بجميع بنودها من (أ إلى و)، وذلك عبر تنفيذ قاعدة أن مسؤولية تحقيق وتنفيذ مهام السلامة والصحة المهنية تقع على أطراف الإنتاج مجتمعين.

فالحكومة مسؤولة عن وضع التشريعات وسنّ القوانين والنظم التي تُؤمن مراقبة تنفيذ اشتراطات السلامة والصحة المهنية، من خلال مفّتشي السلامة والصحة المهنية، وعلى أصحاب الأعمال مسئولية تنفيذ شروط السلامة المهنية، ووضعها قيد التنفيذ الفعلي والعملي، وتزويد العمال المعرضين للمخاطر المهنية بوسائل الوقاية المناسبة، لمنع حدوث المرض المهني وإصابات العمل وتوفير وسائل الوقاية العامة من تهوية وإنارة وتأمين مناخ وجو عمل مناسب، وتحقيق بيئة اجتماعية وإنسانية مناسبة.

أما النقابات وممثلو العمال فعليهم مسؤولية التوجيه والتوعية في مجال السلامة والصحة المهنية والمشاركة في لجان السلامة المهنية في المنشآت، وأن يكونوا حرّاسا أمناء على تطبيق تلك القوانين والقرارات.

ثانياً، وللتأكيد على ما سبق ما نصت عليه المادة (9) من ذات الاتفاقية بأهمية تأمن إنفاذ القوانين واللوائح المتعلقة بالسلامة والصحة المهنيتين وببيئة العمل بنظام للتفتيش كاف ومختص.

وعليه فإن من المهم المبادرة بمعالجة ما يعتري تطبيق العديد من القرارات الوزارية المتعلقة بالسلامة المهنية وتحول دون إنفاذها، ومع التأكيد على ما يبذله المختصين في قسم التفتيش في إدارة السلامة والصحة المهنيتين من جهود كبيرة، إلا أن هناك حاجة إلى زيادة عدد المفتشين، فمن غير المعقول أن يتمكن 12 مفتشا في إدارتي التفتيش العمالي في كل من هيئة تنظيم سوق العمل ووزارة العمل بالتفتيش على ما يربو على 83 ألف منشأة صناعية وتجارية بهذا العدد ، بل استحالة أن تتم تلك الرقابة الفعلية بشكل صحيح.

كما أنّه من المهم تمكين هؤلاء المفتشين ومنحهم الصلاحية في إجراء عمليات التفتيش وإشراكهم في التحقيق في حالات الحوادث في جميع المؤسسات والمنشاءات الصناعية في القطاعين العام والخاص بإزالة الحواجز التي تحضر على مفتشي قسم السلامة المهنية بوزارة العمل أو تعيق عملهم بإجراءات بيروقراطية متنوعة ويغيبون عن متابعة التحقيق في الحوادث، ومنها شركات حكومية كبرى، وهذا ما يعدّ خللاً كبيراً في تطبيق ما تنصّ عليه تلك الاتفاقية، التي كان الأحرى بهذه الشركات والمؤسسات أن تلتزم بها.

مدرسة إبراهيم الجمري

حسن إسماعيل

سيظلّ مجلس عائلة الجمري القديم راسخاً في ذاكرتي، إنّه المكان الذي كان فيه رفيقنا طيب الذكر إبراهيم الجمري حاضراً بروحه المعرفيّة المزوجة بالفكاهة الجادة الناقدة، إنّه المكان الذي تشكّل فيه وعينا السياسي وانحيازنا للفكر الإنسانيّ الحداثيّ التقدميّ، حين كنّا نلتقي خلال إجازات المدرسة النظاميّة الصيفيّة في حلقات نقاشيّة حول مسائل الكون والمجتمع، هذا المكان كان بحقّ مدرسةً للمعرفة، مادتها الأساسيّة المجتمع والإنسان، ومنهجها قوانين الديالكتيك، أستاذها إبراهيم الجمري، تلاميذها شباب من القرية، فسحتها تمرٌ وقهوةٌ عربيةٌ وصوت فيروز الجميل الذي كان يعشقه أبو خليل.

أعتزّ وأفتخر أنّي قد تخرجت من هذه المدرسة بعد أن قرأتُ مؤلفات سلامة موسى، ونوال السعداوي، وجورج حنا، و"قصة الإنسان"، و"الحارثيات"، ومكسيم غوركي، و"كيف سقينا الفولاذ"، وغيرها من المؤلفات، وعرفت ألف باء السياسة، وحبّ الوطن والناس، وتعرفتُ على قوانين التحولات الكميّة إلى كيفيّة، ووحدة وصراع الأضداد، ونفي النفي، فكان أبو خليل هو معلمي الأول في خطوتي الأولى نحو الحبيبة الوطنية، ولم يكن الوصول إلى هذه الخطوة من السهولة عند إبراهيم الجمري، فهي تأتي بعد امتحان صعب طويل يمرّ فيها الرفيق، فهنيئاً لكلّ من كان مَحظوظاً ونال شرف هذا الانتماء الوطني على يد المناضل إبراهيم الجمري القويّة المفعمة بالحرارة الرفاقية.

وحين غيّبنا زائر الفجر عام 1986، وانكسر وضعف انتمائي، كان أبو خليل هو أولّ من أعاد لي روحي الوطنية وشدّ من أزري، واقفاً الآن بثبات في التقدمي محاضراً معتزّاً بالإنتماء إليه، سلمت روحه الظاهرة النقيّة، وسأظلّ وفيّاً لوصيته بصون وحدتنا التقدمية وبما كان يؤمن به من فكر نيّر أنار لنا الظلام.

(قف)

أوقفوا الحرب فوراً

الهجوم الذي كان معظم العالم يتوقعه حدث أخيرًا. في ١٣ حزيران/يونيو، أضافت إسرائيل فصلًا جديدًا إلى سجلها المتنامي من الدمار والموت والفوضى، عندما شنّت هجومًا جويًا على عدد من المدن والمواقع العسكرية في إيران، مما عزز دورها المتوسع كأبرز دولة معتدية في العالم.
هذا ما قاله الكاتب الأمريكي رون جاكوبس في تحليل نشر على موقع "كاونتربانتش" التقدمي، ترجمته إلى العربية صحفية "الاتحاد" الفلسطينية.
وقال أيضًا: "رغم معرفتنا المسبقة أن الهجوم قادم، الإ أن حدوثه كان مازال مروعًا".

فهد المضحكي

ومثلما حصل في الهجمات الأمريكية على العراق عامي 1991و 2003، جاءت الاستجابة الغربية المباشرة على شكل دفاع عن عدوان إسرائيل، كما فعلوا مع عدوان واشنطن خلال قصف العراق. كررت تل أبيب مبررها الفارغ بأنها تتصرف دفاعًا عن النفس؛ وهي كذبة ردّدها عدد من السياسيين في أوروبا وأمريكا الشمالية، وهو مبرر متوقع بقدر توقع نفي واشنطن المسبق أو مشاركتها في الهجمات، وهي ردود نفي تتولاها وسائل الإعلام الأمريكية الكبرى مثل "سي إن أن" و"فوكس نيوز" و"نيويورك تايمز" و"فرانسيسكو كرونيكل"، بدرجات متفاوتة من التظاهر بالموضوعية.
لكن، نظرًا للتقارير التي أفادت بأنّ منصات الصواريخ الأمريكية تُسقط صواريخ إيرانية، وإن الدبلوماسيين الأمريكيين نُقلوا من سفاراتهم في المنطقة، واستمرار واشنطن في تسليح ومساعدة الجيش الإسرائيلي، فإن ادعاءات ترامب بأن واشنطن لا علاقة لها بالهجوم غير القانوني الذي شنته إسرائيل، هي ببساطة غير صحيحة.
فيما يتعلق بالضربات على إيران، يبدو كما كتبت نسرين مالك في صحيفة "الغارديان" البريطانية، أن إسرائيل استلهمت من حرب العراق، مدعية أنها دافعت عن نفسها بالاعتماد على معلومات استخبارية، يجب على العالم أن يقبلها على أنها ضرورية. لكن: ما مدى قرب التهديد؟ ومن يملك الحق في تحديد متى تبرر الضربة الاستباقية؟ ومن يملك الرد على هجوم أحادي غير قانوني؟
ما نعلمه حتى الآن أن السياسة العالمية تعتمد على الاستثناءات ومعايير سيادة متعددة. نعم، إيران انتهكت التزاماتها بعدم الانتشار النووي، لكن إسرائيل رفضت الانضمام لها أصلًا.
كان من السهل تجاهل هذه الفروق في الماضي لأن إسرائيل والولايات المتحدة كانتا من "الطيبين" فيما إيران جزء من "محور شر". لكن التآكل في مصداقية إسرائيل والولايات المتحدة كمفاوضين نزهاء، متمسكين بالقانون الدولي والأمن، جعل هذه الحملة أقل وضوحًا وبساطة.

الولايات المتحدة وبريطانيا والاتحاد الأوروبي يصرحون علنًا أنهم يريدون منع إيران منالحصول على أسلحة نووية. أما إيران، فقد صرّحت مرارًا أنها لا تنوي إنتاج أسلحة نووية، وأن قطاعها النووي يركز فقط على تطوير الطاقة النووية.
بحسب مصادر مختلفة، فقد قامت إيران بتخصيب اليورانيوم بنسبة ستين في المئة، وهي نسبة تتجاوز ما نصّ عليه الاتفاق الذي أبرم بين واشنطن والأمم المتحدة وقوى أخرى خلال رئاسة أوباما، لكنها لا تزال دون نسبة التسعين في المئة اللازمة لإنتاج أسلحة نووية، ولمن لا يعلم، فإن دونالد ترامب هو من مزّق ذلك الاتفاق خلال ولايته الأولى، وهو تصرف أوحى لطهران بأن واشنطن، وتابعتها إسرائيل، تعتزمان التصعيد ضد إيران.
الخلاصة، يقول جاكوبس: "بصفتنا سكانًا لهذا العالم، وبشكل أكثر تحديدًا بصفتنا (كأمريكيين) منتمين إلى القوة الإمبريالية التي تشنّ الحرب على إيران وترتكب الإبادة ضد الفلسطينيين، فإن مهمتنا هي التنظيم والمطالبة بوقف فوري للحرب، وإنهاء الاحتلال الإسرائيلي، وبالتالي انسحاب القوات الإسرائيلية من غزّة والضفة الغربية وسوريا وكل مكان آخر تمتد إليه. ومهمّ أيضًا أن نطالب بانسحاب جميع القوات الأمريكية والبريطانية والغربية الأخرى من المنطقة المعروفة باسم "الشرق الأوسط".
ما يهم شعوب المنطقة، وقف هذه الحرب فورًا.. وقف هذا الانفجار الذي يصعب تصوّر مداه وأثره المدمّر على المنطقة كافة.
وكما ذكرت الصحيفة سابقة الذكر تحت عنوان (أوقفوا الحرب فورًا)، فإن أمر الساعة هو وقف هذه الحرب، ووقف الحروب على مختلف الجبهات وأوّلها على قطاع غزّة، وهو ما أكد عليه بيان حزبي توده الإيراني والشيوعي الإسرائيلي: "بينما نشهد حربًا ودمارًا في إيران وإسرائيل، فإننا نحذر كذلك من استغلال الوضع لتكثيف واستمرار المعاناة والقمع اللاإنسانيين للشعب الفلسطيني في غزّة والضفة الغربية المحتلة... أوقفوا الإبادة الجماعية في غزّة. فالتوترات والحروب لا يستفيد منها سوى الإمبريالية وحلفائها من القوى الرجعية والديكتاتوريات".

حرب الكيان الصهيوني والتحوّلات الجيوسياسية القادمة

قبيل الهجوم الاسرائيلي الصهيوني على إيران، كانت تصريحات الطرفين المتفاوضين، وكذلك المتابعين لجلسات التفاوض الأميركي الإيراني، يدور في جوانب مهمّة منها حول تفاهمات وعمل إيجابي يلقى التشجيع والدعم من كليهما، ظاهرياً على الأقل، على الرغم من أن الطرفين كانا على علم أن التفاوض غير المباشر بينهما، والذي استضافته العاصمة العمانية مسقط، يواجه مصاعب وتحديات جمّة خلال جولاته المنتظرة، إلا أن لغة التفاؤل كانت هي السائدة حينها بشكل عام!

عبد النبي سلمان

وبكل تأكيد كانت تطلعات الطرف الأميركي تنظر بعيداً إلى حيث الاستثمارات الضخمة الموعودة والمنتظرة من السوق الإيراني، والتي قدّرت بأكثر من تريليون دولار، لسوق متعطش لكلّ شيء تقريباً، نتيجة حصار اقتصادي وتجاري محكم امتدّ لسنوات، تراجع فيها الاقتصاد الإيراني والعملة الإيرانية «التومان» إلى مستويات غير مسبوقة، لذلك انتعشت آمال رجل الشارع العادي قبل النخب الإيرانية، وبالمثل روّجت إدارة ترامب في دورتها الرئاسية الجديدة بعد غياب أربع سنوات إلى أنها ستستعيد مكانة وعظمة أميركا واقتصادها عبر مشاريع واستثمارات ضخمة تنطلق، أساساً، من استثمارات وأموال خليجية ضخمة تحصلت عليها للتو وبلغت أكثر من خمسة تريليونات دولار، تمّ تحصيلها خلال ساعات قليلة، كما تفاخر بذلك الرئيس ترامب مراراً أمام عدسات الإعلام، إضافة إلى وعود بفتح السوق الإيراني على مصراعيه، عقب توقيع الاتفاق الذي كان مأمولاً مع إيران بكلّ ما يحمله من وعود للشركات الأميركية العابرة للقارات.

وفي الوقت الذي كانت فيه دولة الكيان الصهيوني تتربص بعدم توقيع اتفاق، أو حتى تفاهم، أميركي–إيراني، مهما كلف ذلك من أمر، كان سيدخلها في حسابات غير واضحة أو لا ترغب فيها، تسندها في ذلك سطوة الدولة العميقة صاحبة القرار الحقيقي في الولايات المتحدة الأميركية بدون منازع، وهي التي تجثو على الركب أمام طموحات ومخططات اللوبي الصهيوني هناك، تفاجىء دولة الكيان العالم بعدوان غاشم على إيران عبر محاولة إنقلاب داخلي محكمةً الخيوط، نسجت بعناية، وتمّ التخطيط لها مع دوائر استخباراتية أميركية وعالمية وربما إقليمية، لم تتضح معالمها حتى اللحظة، لتتوقف بعدها جلسات الحوار والتي كان أقربها على بعد يومين فقط من موعد اندلاع شرارة الحرب الدائرة حالياً بين إيران والكيان الصهيوني.

وعلى الرغم مما قيل حول خداع ترامب المتعمد لطهران بشأن توقيت وطريقة العدوان على إيران، إلا أن ذلك لا ينفي، بل يعزز من حضور ودور الدولة العميقة في الولايات المتحدة وما تخطط له من سيناريوهات على مستوى المنطقة وإعادة رسم الجغرافيا السياسية عالمياً، تحضيراً لمشاريعها التي باتت معروفة للجميع وعلى رأسها إضعاف تحالفات الصين وروسيا بالدرجة الأساس، وليس بعيداً عنا أبداً ما جرى قبل ذلك من حرب قصيرة قبل أقلّ من شهرين، لكنها ذات مغزى سياسي كبير بين باكستان والهند، على خلفية إتفاقية المياه بينهما في منطقة كشمير المتنازع عليها، والتي سرعان ما تمّ إطفائها ربما بسبب حسابات جيوسياسية مستجدة، أو بفعل قوّة الرد الباكستاني الذي فاجأ العالم، وهذا هو الأمر المرجح، بالإضافة إلى ما أظهرته تلك الحرب من قدرات دفاعية وحربية باكستانية كان وراءها بكل تأكيد التسليح الصيني والاستخباراتي السيبراني الرهيب لباكستان!

وإسقاطاً لكل ذلك على أسباب ومجريات الحرب الدائرة حالياً بكل قسوة بين الجارة إيران والكيان الصهيوني، والتي يتابع العالم فصولها، وما تحدثه من دمار وتحوّلات كبرى قادمة للمنطقة والعالم ولخريطة التحالفات القادمة فيها، يجدر بنا القول إنّ من الخطأ أن تبقى دولنا الخليجية والعربية مكتفية بدور المتابع المتفرج المحتسب لنتائج تلك الحرب المدّمرة، وتلك التحولات، خاصة وأن مؤشرات عدّة برزت للسطح، وهي تمسّ بالدرجة الأساس مصالح دولنا الخليجية وشعوبها بشكل مباشر وغير مباشر.

وأولّ تلك المؤشرات يكمن في التهديدات الواردة من إيران بضرب المصالح والقواعد الأميركية المنتشرة على رقع جغرافية متقاربة في دول الخليج العربية، وبالتالي ادخال دولنا رغماً عن إرادتها في حرب ليست حربها، إضافة لما ينتظر أن تحدثه من دمارٍ وتحديات جمّة يصعب توقعها، وإمكانية وتوقيت التعافي من كل ذلك، في حال تنفيذ تلك التهديدات، أو استمرار تلك الحرب وتبعاتها على دولنا، علاوة على التلميح المتكرر بغلق مضيق هرمز الذي يمرّ من خلاله أكثر من 20٪ من إنتاج النفط العالمي المصدّر للأسواق العالمية، في حال دخول أطراف خارجية للحرب الدائرة، إضافة إلى ما قد تحدثه الحرب وعدم أخلاقية دولة الكيان الصهيوني في إشعال المنطقة برمتها، وتبعات التلوث النووي والبيئي، لا سمح الله، فيها جرّاء هجماتها المتكررة على المفاعلات النووية الإيرانية وما يعني ذلك من تعطيل محتمل لكلّ وجوه الحياة وثرواتها وبيئتها الملوثة أصلاً، بفعل حروب وتفجيرات لم تتوقف على مدى عقود ولا زالت، برز من بينها ضرب المفاعل النووي العراقي في العام 1981، وما أحدثه زلزال غزو نظام صدام حسين للكويت مطلع التسعينات وما تبعه من حرب أكلت الأخضر واليابس لدول المنطقة، وأحدثت تلوّثاً بيئياً صارخاً في منطقتنا بعد حرق آبار النفط الكويتية، والذي لم تتعاف المنطقة من آثاره بعد بحسب الكثير من الخبراء!

خلاصة القول إنه بات واضحاً حجم التآمر والتخطيط المراد لاستدامة إشعال المنطقة، وإعادة رسم الخارطة الجيوسياسية فيها حفاظاً على مصالح دول القرار العالمي وهيمنتها، وما يدور من حديث جدي حول متغيرات محتملة قادمة للمنطقة، تتطلب من شعوبنا وحكوماتنا اليقظة والوعي بما يخطط لمنطقتنا وشعوبها ونهب خيراتها، الأمر الذي يتطلب تحركاً خليجياً وعربياً موحداً وسريعاً، لا يحتمل التأجيل أو التردد أو حتى الخوف غير المبرر، لإنقاذ المنطقة وشعوبها ومقدراتها من تلك المخططات، ولو تطلب ذلك إعادة النظر أو حتى مراجعة تحالفاتنا الإقليمية بمسؤلية وتجرد، والنظر بعيداً بدلاً من الاتكاء على قوى دولية مصلحتها تكمن فقط في تكريس تبعية المنطقة وإذعانها لمشاريعها المشبوهة، والتي لن تكون لصالح ما يروج له من سلام أو استقرار أو إزدهار كاذب!

بصراحة

أوقفـــوا الحـــــرب وأبعـــدوا الأساطيـــل العسكـــريـــة عـــن الخليـــج

عندما شنَّ الكيان الصهيوني عدوانه على إيران في فجر يوم الجمعة الثالث عشر من يونيو ٢٠٢٥، قال إعلامه بأنه قام ب ٢٤٠ غارة جوية شملت المنشآت العسكرية والمدنية الإيرانية، قُتِل فيها كبار القادة العسكريين والعلماء البارزين في المجال النووي، بالإضافة إلى المدنيين، في عدوان سافر على دولة ذات سيادة وعضو في الأمم المتحدة، وفي تصعيدٍ خطيرٍ يهدِّد السلم والأمن الدوليَين في المنطقة، ويُحوّل منطقتنا إلى بؤرة عسكرية تستخدم فيها كل أنواع الأسلحة الفتاكة، ليشتعلَ الخليج بأسره وهو الذي يعجُّ بالتواجد العسكري الأجنبي، ولاسيما القواعد العسكرية الأمريكية.

الحرب في كل الحالات تعني الدمار والخراب، وعندما تتوسع كما هو جاري الآن في عدوان الكيان على إيران، وبالأخص بعد مشاركة الإمبريالية الأمريكية فيها بتاريخ 22 يونيو 2025، فإن دول المنطقة لن تكون بمنجاة من تداعياتها لوجود القواعد والأساطيل الأمريكية على أراضيها وفي مياهها الإقليمية، فنتائج الحرب سوف تكون وخيمة على الجميع، مايتطلب أن يأخذ النهج الدبلوماسي طريقه بعودة المفاوضات بين الإيرانيين والأمريكان، التي كانت مقررة لها جولة سادسة في العاصمة العمانية، مسقط في يوم الأحد 15 يونيو 2025، والغيت كنتيجة لبدء العدوان الصهيوني على إيران.

من يحكم اليوم في تل أبيب يتفق مع من يحكم في البيت الأبيض، فالطرفان متفقان على توجيه الضربة العسكرية لإيران، تحت ذريعة ارتفاع نسب تخصيب اليورانيوم، مع أن ممثلي الوكالة الدولية للطاقة الذرية، نفوا في اليوم الثاني من الضربة العسكرية الصهيونية، أن إيران لديها نسباً مرتفعة من تخصيب اليورانيوم، وهم الذين كان لديهم رأي آخر قبل الضربة، استخدمته تل أبيب ذريعة لشن عدوانها الذي تستعد له منذ سنوات، على كافة المستويات، بما في ذلك تجنيد أعداد كبيرة من الجواسيس والعملاء داخل إيران.

لدى الكيان الصهيوني أهداف أخرى من ذلك العدوان والقتل، بالتنسيق مع الأمريكان لتغيير واقع المنطقة، وهو ما ما يجاهرون به بالقول إنهم يسعون لإعادة رسم خريطة طريق الشرق الأوسط، وفق الرؤى الصهيونية الفاشية والإمبريالية الأمريكية التي تتوافق مع الرؤى الصهيونية، وأصبح الهدف المعلن هو تغيير النظام الإيراني، مع أن تغيير الأنظمة مهمة الشعوب بغض النظر عن طبيعة هذا النظام أو ذاك، فتجربة العراق جديرة بالتوقف عندها، فبعد إسقاط النظام العراقي في عام 2003 من قِبل الإمبريالية الأمريكية التي قتلت حوالي مليونَ عراقي، هل تحققت الديمقراطية والعدالة الاجتماعية، ونحن نرى العراق اليوم غارقاً في المحاصصة الطائفية والفساد المالي والإداري، فأين دولة القانون والمؤسسات الديمقراطية التي وعد بها الأميركان حين احتلوا العراق؟، لذلك نقول إنّ الشعب الإيراني هو المعنيٌّ بالتغيير، وليس الكيان الصهيوني أو الأمريكان.

فاضل الحليبي

بالإضافة للشعب الإيراني، فإنّ دول المنطقة وشعوبها هي أشدّ المتضررين مما يجري، بسبب الوجود العسكري الأمريكي والأجنبي

مصلحة المنطقة هي في بذل كل الجهود للضغط من أجل وقف الحرب والعودة إلى خيار التفاوض ليكون هدفاً ووسيلة لجميع الأطراف

يجب أن تنصبّ كل الجهود اليوم من أجل وقف الحرب وإبعاد المنطقة عن الصراعات والتدخلات العسكرية الأجنبية التي من مصلحة أصحابها استمرار الحرب وتأجيج الخلافات بين دول المنطقة واستنزاف خيراتها وإمكانياتها لتدعم التوجهات العسكرية، بدلاً من الاستفادة من الأموال الخليجية في التنمية المستدامة الشاملة لبلدان المنطقة، فيما المؤشرات تشير باستمرار الحرب واتساعها بدخول أطراف أخرى فيها في المقدمة منها الإمبريالية الأمريكية، وسوف تتضح أكثر مواقف الروس والصينيين كونهم معنيين بما يجري، ولا نعوّل على الموقف الأوروبي الذي لا يمكن أن يخرج عن الموقف الأمريكي الداعم للكيان الصهيوني.

وأكثر المتضررين مما يجري، بالإضافة إلى الشعب الإيراني، هي دول المنطقة وشعوبها، بسبب الوجود العسكري الأمريكي والأجنبي في أغلب بلداننا كما سبقت الإشارة، ما يجعلها في مرمى النيران في أي لحظة، لذا فإن مصلحتنا هي بذل كل الجهود للضغط من أجل وقف الحرب والعودة إلى خيار التفاوض والحوار ليكون هدفاً ووسيلة لجميع الأطراف للخروج من دائرة القتل والدمار.

مضيق هرمز والحرب الإسرائيلية – الإيرانية

إيمان الشيخ

يعتبر مضيق هرمز من أهمّ الممرات المائية والشريان الاقتصادي للعالم، حيث يمنحه موقعه الجغرافي الاستراتيجي بين سواحل سلطنة عمان وإيران دوراً إقليمياً مهماً في حركة الملاحة الدولية ويجعل منه منفذاً محورياً لحركة التجارة لدول الخليج العربية المصدرة للنفط.

يمرّ من خلال المضيق ما يقارب ٢٠٪ من النفط والغاز لدول العالم، ويمنحه سعي العديد من الدول إلى ترسيخ نفوذها في هذه المنطقة الاستراتيجية، أهمية اقتصادية في الأسواق العالمية، لذا أصبح ضمان الاستقرار في المضيق أمراً أساسياً لاستمرار إمدادات الطاقة، إذ أن أي اضطراب في هذا المضيق يهدد اقتصادات العالم ويسبب تغيّرات حادة في أسعار النفط.

حوادث القرن في المضيق

في ثمانيات القرن الماضي خلال الحرب العراقية الايرانية، استهدفت كلتا الدولتين (العراق/ إيران) ناقلات النفط المارة من خلال المضيق، فسميت تلك المرحلة بـ»حرب الناقلات»، التي بدأتها العراق عندما شنّت هجوماً على السفن التجارية المتجهة من وإلى الموانئ الإيرانية بهدف منعها من تصدير النفط، وإضعاف قدراتها على القتال، وبدورها ردّت إيران بمهاجمة سفن تجارية قادمة إلى دول الخليج الداعمة للعراق في تلك الحرب، وبسبب تلك الهجمات توقف تصدير النفط من دول الخليج، ولوّحت إيران بإغلاق المضيق أمام صادرات النفط إذا تعطلت صادراتها. تسببت تلك الحرب في اضطرابات كبيرة بأسواق النفط العالمية، وأدت إلى تقلبات ملحوظة في أسعار النفط، ودفع ذلك إلى تدخل عدّة دول لضمان استمرار تدفق النفط وحماية مصالحها في المنطقة.

اليوم ومع تصاعد وتيرة الهجمات الإسرائيلية على إيران، لاح في الأفق الخوف من إغلاق المضيق إذا استمرت الحرب ودخلت جهات أخرى لمساندة الكيان الصهيوني في الحرب التي شنتها إسرائيل في الثالث عشر من يونيو، واستهدفت من خلالها البنية التحتية الإيرانية، منشآت نووية وقواعد عسكرية، كما نفذت عمليات اغتيال طالت كبار القادة العسكريين والعلماء النوويين بغرض منع إيران من امتلاك السلاح النووي والذي يشكل تهديدا لأمن إسرائيل، التي استندت على تقرير الوكالة الدولية للطاقة الذرية الذي يفيد بأن إيران تواصل تخصيب اليورانيوم الى مستويات أعلى. في المقابل ردّت إيران مستخدمة أسلوباً مختلفاً في تصعيد وتيرة الحرب، حيث أنها فاجأت العالم بأن الهجوم الإيراني الذي جاء دفاعًا عن النفس، فتمّ استهداف مقرّات الجيش الإسرائيلي والاستخبارات بالطائرات المسيرة والصواريخ الباليستية، الأمر الذي أدى إلى تصعيد الحرب بين الطرفين واحتمالية التدخل العسكري الأمريكي في هذا الصراع، وهذا ما حمل إيران على التلويح بورقة إغلاق مضيق هرمز.

إغلاق المضيق وتداعياته الاقتصادية

إغلاق مضيق هرمز حالياً هو الورقة الرادعة التي قد تستخدمها إيران للردّ على العدوان الإسرائيلي، حيث أنّ الإغلاق سيعطل حركة الملاحة ومرور الناقلات النفطية والذي بدوره سيؤثر على التجارة الدولية، كما سيحدث تأثيراً سلبياً على الدول المستفيدة والتي تعتمد على واردات النفط من دول الخليج، وسيؤدي إلى منع وتأخير وصول الناقلات النفطية للدول المستهلكة للطاقة، الأمر الذي سيؤثر سلباً على إنتاجها الصناعي وسيؤدي إلى أزمة حادة في توافر الطاقة.

أما بالنسبة للدول المصدرة للنفط والتي تعتبر هذا الاغلاق أمراً مقلقاً، فإنه سيعرقل قدرتها على إيصال منتجاتها النفطية للأسواق العالمية، مما يؤدي إلى ارتفاع أسعار النفط بالإضافة للارتفاع الحاد في تكاليف الشحن والتأمين بسبب إعادة توجيه مرور السفن والناقلات إلى طرق بديلة، وهذا سيؤدي إلى زعزعة الاقتصاد العالمي.

إن إغلاق المضيق سيكون بمثابة أداة قد تستخدمها إيران للضغط على الدول التي تتخذ مواقف معادية لها أو تحاول دعم إسرائيل، مما يخلق مزيداً من التوترات في المنطقة. وبعد أن أقدمت أمريكا على تقديم المساعدة المباشرة لإسرائيل في حربها والاشتراك في استهداف المنشآت الإيرانية، فإنّ إيران قد تقدم على إغلاق المضيق، ومن المرجع أن تتدخل الولايات المتحدة الأمريكية عسكرياً لحماية الإمدادات في المضيق، لأنها تعتبر هذا الإغلاق تهديداً لمصالحها خاصة فيما يتعلق بأمن إمدادات الطاقة.

الـدولـة المـارقـة: ازدواجيـة المعـايير وهيمنـة القـوى العظمـى

في ظلّ العدوان الإسرائيلي الأخير ضد الجمهورية الإسلامية الإيرانية، والذي تمَّ بدعم لوجستي وعسكري من الولايات المتحدة، روَّج الإعلام الصهيوني وصف إيران بـ«الدولة الإرهابية المارقة». هذا المصطلح ليس جديدًا، بل هو جزء من أدبيات السياسة الخارجية للقوى العظمى لتبرير عدوانها.

جلال إبراهيم

مصطلح «الدولة المارقة» أداة سياسية لإسكات المعارضين وتبرير الهيمنة

ظهر مصطلح «الدولة المارقة» بشكل بارز في التسعينيات خلال عهد الرئيس الأمريكي بيل كلينتون، لوصف دول مثل كوريا الشمالية وإيران والعراق، التي اعتُبرت معادية للنظام الليبرالي بقيادة الولايات المتحدة. وفق الرؤية الأمريكية والإسرائيلية، حيث قيل إنّ هذه الدول تنتهك القانون الدولي، تدعم «الإرهاب»، أو تسعى لامتلاك أسلحة الدمار الشامل. لكن الواقع يكشف أن المفهوم يُستخدم انتقائيًا لخدمة مصالح القوى العظمى، إذ تُغضّ الطرف عن انتهاكاتها وحلفائها بينما تُوجَّه الاتهامات للخصوم.

على أرض الواقع، تُعدّ إسرائيل والولايات المتحدة من أكثر الدول انتهاكًا للقانون الدولي؛ فإسرائيل تواصل حرب الإبادة ضد الفلسطينيين، وتقصف غزّة وتدمّر مستشفياتها ومدارسها، وتعتدي على لبنان وسوريا بعيدًا عن أي محاسبة. بينما تستخدم الولايات المتحدة حق النقض (الفيتو) لحماية إسرائيل في مجلس الأمن، وتشنّ حروبًا استباقية تزهق أرواح المدنيين، كما في ضرب المفاعلات النووية الإيرانية.

تعتمد إسرائيل على خطاب «المظلومية» لتصوير نفسها كضحية، مدعيّة أنّ العرب والفلسطينيين يمارسون «الإرهاب» ضدها. هذه الرواية تُوجَّه لأوروبا لتبرير عدوانها، لكنّها تفقد مصداقيتها في عصر وسائل التواصل العالمي، حيث تنكشف جرائم الاحتلال، مما يدفع الآلاف في الغرب للاحتجاج ضد الوحشية الإسرائيلية.

تهرب إسرائيل، برغم جرائمها، من المحاسبة بسبب هيكل النظام الدولي الجائر

النظام العالمي الحالي قائم على القوّة العسكرية وجشع المال، لا على قيم العدل والسلام

تتصاعد الاتهامات الإسرائيلية الموجهة لإيران بشأن «قصف المدنيين والمستشفيات» في سياق الحرب الدائرة، كما يظهر في تصريحات المسؤولين الإسرائيليين مثل وزير الأمن القومي المتطرف إيتمار بن غفير ووزير الخارجية، لكن هذه الاتهامات تتناقض صراحةً مع الممارسات الوحشية لجيش الاحتلال في فلسطين، خاصةً في غزّة والضفة الغربية، حيث تشنّ جرائم حرب ممنهجة تشمل استهداف المدنيين العزل، وتدمير البنى التحتية، وفرض حصار خانق يمنع وصول الغذاء والدواء.

يدعي القادة الإسرائيليون (مثل نتنياهو) أن دولتهم «ديمقراطية تسعى للسلام»، بينما تُمارس أبشع أشكال العنف الاستعماري. يتهكَّم ترامب لعدم حصوله على جائزة نوبل للسلام رغم دعمه جرائم الحرب الإسرائيلية. هذه التناقضات تُظهر أنّ النظام العالمي الحالي قائم على القوة العسكرية وجشع المال، لا على قيم العدل والسلام.

يمكن القول بأن مصطلح «الدولة المارقة» أداة سياسية لإسكات المعارضين وتبرير الهيمنة. فإسرائيل، برغم جرائمها، تهرب من المحاسبة بفضل هيكل النظام الدولي الجائر. لكن مع صعود الوعي العالمي، أصبحت أكاذيبها مكشوفة. يبقى التحدي الأكبر: متى سيتحرك المجتمع الدولي لوقف هذه الازدواجية؟ حتى ذلك الحين، تبقى المقاومة — بكل أشكالها المشروعة — حقًّا للشعوب المقهورة.

عن حروبهم التي لم تبدأ بعد

على متن حاملة الطائرات هاريرز

أعادني مشهد الحرب الدائرة بين إسرائيل وإيران إلى ذكريات تعود لشهر مارس من عام ٢٠٠٣، عندما شنّ التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة حرباً على العراق بزعم امتلاكها اسلحةً للدمار الشامل، اتضح لاحقاً كذب هذه المزاعم، ولم تقدّم أميركا دليلاً على وجود هذه الأسلحة بعد احتلال العراق.

عصمت الموسوي

قبل أسبوع من شنّ الحرب تواصلتْ معنا السفارة الأمريكية لتنظيم مؤتمر صحفي، وترتيب السفر لمن يودّ تغطية الحرب من على إحدى حاملات الطائرات الأميركية. سجلتُ اسمي واستمعت كغيري إلى الإجراءات الواجب اتخاذها قبل المغادرة، إلا أنّ اهم نصيحة قيلت لنا وقتها: «إن العراق يمتلك اسلحة نووية وكيمائية وقد يقصف حاملة الطائرات بمن عليها، ونحن سنقوم بحمايتكم بما استطعنا من وسائل، ونزوّدكم بأجهزة ومعدّات واقية لحظة نزولكم على السفينة، إلا أن أي خطر قد تتعرضون له سواء من طرفنا أو من الجهة الأخرى المعادية، التي هي العراق، أو حتى في حالة حدوث خطأ شخصي من قبلكم، فإنّكم تتحملون مسؤولية نتائجه بالكامل وحدكم، وبالتالي لن يكون هناك أي تعويض لكم بأي شكل من الأشكال، ووافقنا، وقبل الخروج من القاعة طُلب منا الإقرار والتوقيع على تلك المذكرة.

في صباح يوم المغادرة التقينا بعدد كبير من الصحفيين الأجانب المتوزعين في فنادق البحرين المختلفة، والعازمين على الذهاب إلى حاملات طائرات عديدة، وبعضهم سيتوجه إلى العراق برّاً بسبب إغلاق الأجواء الجوية. أقلّتنا طائرة هليكوبتر صغيرة جداً مخصصة لنقل الجنود، استغرقت الرحلة فترة زمنية قصيرة وهبطنا على متن حاملة الطائرات هاريرز التي تمركزت في الخليج العربي، وخُصصت لقصف جنوب العراق: البصرة، الزبير، أم قصر، الناصرية، القرنة والفاو.

بعد الوصول، تلقينا تدريباً أوليّاً على طريقة التنقل على الحاملة وكيفية استخدام مرافقها المسموح بها، وكذلك كيفية فتح وغلق أبوابها الضخمة الثقيلة، وتركزّ التدريب الثاني حول كيفية استخدام الأقنعة الواقية لحمايتنا من الغازات والمواد السامة التي زعموا أنّ صدام حسين قد يطلقها، أما التدريب الثالث فكان عن استخدام البحر في حالة حدوث أي هجوم على السفينة، والواقع أنّه بعد كلّ هذا التدريب المتنوع وكلّ الأجهزة التي حملناها إلى غرفنا، فإننا دخلنا السفينة وغادرناها ولم نلجأ إلى أي وسيلة وقائية، وكل ما شاهدناه وسمعناه هو انطلاق الطائرات الحربية من مُدّرج السفينة الذي يقع فوق الغرف مباشرة، وعودتها آمنة سالمة، وكنّا نستيقظ فجراً على وقع هذه الأصوات، أو قبلها أحياناً، لنشاهد من بعيد، ومن آخرالصفوف غرفة القيادة والأوامر التي يتلقاها الطيارون قبيل الاقلاع.

في يومين تقريباً أنجزت المهمة الموكلة لهذه الحاملة بالكامل، إذ كنتُ أرى الطائرات العائدة إلى السفينة محمّلة ببعض الصواريخ، أي أنّها لم تلق كلّ حمولتها، وحين سألتُ أحد الطيارين قال لي، لم تعد هناك أهداف، بل إننا كنّا نقصف الهدف الواحد عدّة مرات.

قبل العودة ألقيتُ نظرة على مخزون الصواريخ المتبقي فوجدته لا يزال كبير جداً، سألت كابتن السفينة فقال لي: «إنّ الصواريخ والقذائف التي لدينا تكفي لإبادة قارة وليس بلداً صغيراً كالعراق»

الحياة على الحاملة مملة جداً، لم يكن لدينا هواتف ولا تلفزيون، ولا يسمح لنا باستخدام الإنترنت إلا لوقتٍ محدودٍ جداً عبر كلمة مرور خاصة تعطى لنا من أجل نقل تغطياتنا الصحفية فقط. غرفتنا صغيرة جداً وخانقة، بلا نافذة ولا دورة مياه خاصة بها، والأسّرة مصمصة بشكل علوي لتفادي شدة ضيق الغرفة، وقد تقاسمتها مع صحفيتين إحداهما كندية والأخرى استرالية.

يستيقظ الطيارون صباحاً وتنتظرهم على أبواب غرفهم بدلهم العسكرية المرتبة والمكويّة والملفوفة بعناية والقادمة من مغاسل البخار، يمضون إلى طائراتهم وهم حليقو الدقن وفي كامل هندامهم كأنّهم ذاهبون إلى حفلة، يتناولون الإفطار مع الصحفيين وباقي قيادات السفينة، تتوزع المهام في السفينة بين مجموعات عديدة ومتنوعة، ويجري العمل فيها وفق نظام شديد الدقّة والترتيب، صحيح أن السفينة تجري في بحرنا وعلى مياهنا، لكنها مسّرح عمليات أميركي بالكامل. سألتُ مسؤول الردار عمّن يُزوّد الحاملة بحالة الطقس اليومي، فقال لي ضاحكاً: نحن الذين نزوّدكم بمؤشرات حالة الطقس.

أجريت مقابلات مع أغلب قيادات الحاملة والجنود وغيرهم، هنا يصعب إيجاد مادة صحفية شيّقة تستحق الكتابة، لكنني اجتهدت لأصف الحياة على الحاملة التي لم نكن نرى إلا جزءاً يسيراً من سير عملها، أمّا سرّ العمليات العسكرية واختيار الأهداف فبدا لي أنّه قد تمّ منذ زمن بعيد، وكل شي: كووووول.

في جناح تمّ تخصيصه للهدايا souvenirs وجدتُ عدّة مجسمات وشعارات للسفينة، وقد تضمنتْ عبارة "معركتي لم تبدأ بعد". تساءلت وقتها: ترى كم سيكون نصيب هذه المنطقة من العالم من المعارك القادمة؟

في مطار البحرين سألني موظف الجوازات من أين أنت قادمة؟ قلت له من إحدى حاملة الطائرات الأمريكية، قال: يعني كنت مسافرة، قلت له نعم، تقريباً، وماذا ترى؟ قال لا يوجد ختم خروج في جوازك أو الجهة القادمة منها، فأجبته: ربما من حسن حظي.

بعد أسبوع من انتهاء العمليات العسكريّة الجويّة سوف أدخل البصرة برّاً عن طريق الكويت، لتغطية مجريات دخول قوات مشاة البحرية الأمريكية (المارينز) إلى العراق يوم 21 مارس عام 2003. هناك كانت القصص الخبرية والمشاهد والصور والفظائع، هناك كانت الحرب الحقيقية، لكن تلك قصة أخرى قد يحين وقت سردها ذات يوم.

جـــوهـــر الحضـــارة الغـــربيـــــة

حسين آل ربيع

كنا نتحدث في أحد اللقاءات مع الأصدقاء عن الفيلسوف الألماني «نيتشه» وعن كتابه الشهير «هكذا تكلم زرادشت» وحول أفكاره المثيرة للجدل التي تتعلق بفلسفته اللا أخلاقية، حيث إنه يرى بأن الأخلاق صفة الضعفاء يستجدون بها الأقوياء ليحققوا منافع مؤقتة بمعنى أن الأخلاق عنده أشبه بالتسوّل. وعن فكرته الجوهرية في تمجيد القوة التي تتمحور حول المصلحة الشخصية بصفتها معياراً أوليّاً للحكم على الظواهر.

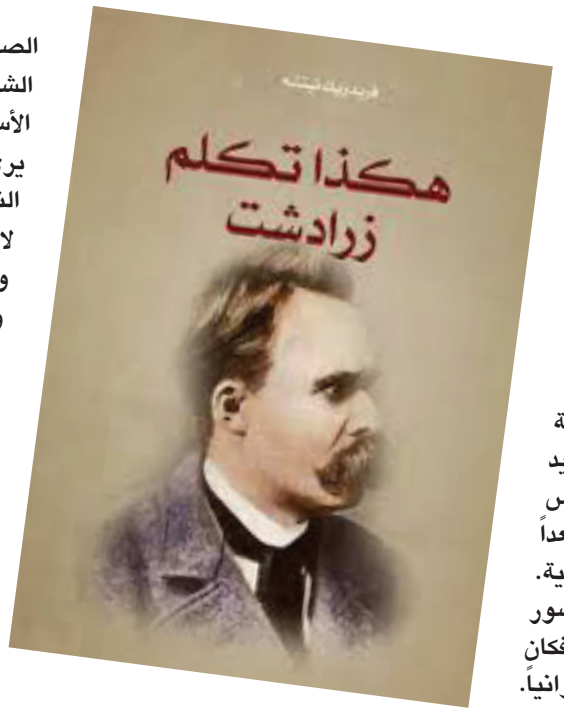

والقارئ لسياقات الثقافة الغربية وتاريخها الإنتقالي سيدرك بأن «نيتشه» ليس الوحيد الذي ينطلق من تمجيد القوة والمصلحة بل أن هناك كثر قبله وبعده، وأنه ربما امتلك شهرةً لأسلوبه الحماسي وكتاباته الشاعرية التي وظّفَ فيها الأدب والفن مقترناً بالاستاطيقا (فلسفة الجمال) فهو يبرع جداً في هذا المجال... ويبدو أنه كان مهموماً بالحالة المزرية التي وصل إليها الإنسان الأوروبي قبل الحداثي من فقرٍ وبؤس ما جعله عرضةً لاستغلال السُلطة السياسية والتجارية المتمثّلة في البرجوازية وبقايا الإقطاع ورجال الدين الذين كانوا يعملون على تدجين هذا الإنسان عبر تثبيت الوهم وأخلاقيات التذلل والخضوع.

وبطبيعة الحال فإن سلوك المسكنة يعتبر دخيلاً على الحضارة الغربية التي كانت منذ العصر الروماني تمجّد القوة. لم يكن الدين المسيحي وليد هذه الحضارة بل كان دخيلاً عليها أيضاً حين جاء من الشرق عبر «بولس الرسول» الذي حاول ترسيخ مفاهيم الرحمة والأخلاق وأعطاها بعداً ميتافيزيقياً يتجاوز حدود المادة التي تتمحور حولها الحضارة الغربية.

طبعت الحضارة الأوروبية الدين المسيحي بطابعها منذ بدايات العصور الوسطى فأخذ يسلك طريقةً عدوانية في التعامل بالرغم من سماحته، فكان التعامل مع أتباعه شديداً جافاً ومع المختلفين عنه وخصومه تعاملاً عدوانياً.

ولو رجعنا الى الفلسفة في عصر النهضة والتنوير فسنرى الكثير من الفلاسفة الذين يمجدون القوة والمصلحة من أمثال هوبز وبيكون وصولاً الى نيتشه، وبينتام الذي مجّد النفعية واعتبرها غاية في ذاتها، ووليام جيمس الذي نظّر للبراغماتية التي اعتمدت عليها الولايات المتحدة في سياساتها، وإن وجد بعض الفلاسفة الذين سلكوا مسلكاً إنسانياً – وإن كان معضمهم لا يرى الإنسان غير الأوروبي ذا قيمة – إلا أن الطابع العام هو ذاته؛ القوة والمصلحة، هذا المناخ العام والفكر السائد كوَّنَ البُنية التحتية لظهور أفكار تنظّر للنفعية والى اقتصادات تنظّر للاستغلال والنهب، ولسُلطات دكتاتورية/ فاشيّة، فظهور النازية في أوروبا ليست انحرافاً عن مسار الحداثة والحضارة بل هو جزءٌ لايتجزّء منها، وما تأييد الغرب للصهيونية سوى جزء من نمط أكبر يتمثل في الإيمان الكامل بشريعة القوة والإمبريالية والعنصرية لا شريعة العقل والعدالة كما نتوهم.

أحد أهم الزعماء والمنظّرين النازيين «ألفريد روزنبيرغ» على إثر دفاعه عن نفسه في محاكمة نورنبيرغ التي عُقدت لمحاكمة زعماء النازية بعد نهاية الحرب العالمية الثانية على جرائمهم، يقول: «إن فكرة التفاوت بين الأعراق والتنظير لها عملياً وفلسفياً جزءٌ لا يتجزّأ من الفكر الغربي. وكان قد أشار الى أنه تعرف على مصطلح «الإنسان الأعلى» لأول مرة في كتاب الإستعماري الإنجليزي «هيربيرت كتشنر 1850–1916» (وهو عسكري وحاكم مستعمرات بريطاني ويُذكر أنه كان يجيد اللغة العربية)، وأن مصطلح «العِرق المتفوق» أو «الجنس السيّد» من كتابات الباحث الأمريكي «ماديسون غرانت» صاحب كتاب «الأسس العنصرية للتاريخ الأوروبي» 1916م، ففي هذا الكتاب يشرح غرانت نظرية تفوّق عِرق الشمال ويدافع عن برنامج تحسين النسل، وكانت هذه من أهم الأفكار التي ألهمت المشروع النازي.

ويَذكر روزنبيرغ أيضاً: أن رؤيته العِرقية هي نتيجة أربعمئة عام من البحوث العالمية التجريبية الغربية. حتى هتلر كان قد تأثر كثيراً بالدراسات الإمبريالية/العنصرية التي انتشرت في أوروبا منذ القرن السادس عشر وانتشرت كالمايكروبات وصولاً الى المشروع الصهيوني الذي وظّفَ الشعب اليهودي بصفتهِ شعباً خاصاً أو الشعب المختار الذي حلَّ فيه الإله وبالتالي له حقوق مُطلقة هي في الأساس نابعة من ذات الرؤية الإستعمارية العنصرية.

يرى الدكتور عبدالوهاب المسيري أنه من المهم وضع الإبادة النازية ضمن سياق الحضارة الغربية بحسبانها حضارةً إباديّة لا تتردد في إزالة أيّ عقبة تقف دون تحقيق مشاريعها وخططها، ولا تأخذ القيم الأخلاقية بالاعتبار، وهي التي تعرضت للتفكك والسيولة حتى غابَ الدالّ عن المدلول. ويشير الى وقائع الإبادات المختلفة في التاريخ الغربي الحديث منذ لحظة إبادة الهنود الحمر في أمريكا القرن السادس عشر التي شكلت مرحلة جديدة من الإستعمار متمثلة في إبادة شعب وإحلال شعب آخر مكانه عبر اختيار الجغرافية والبيئة والسردية المناسبة لإقامة مشروع استيطاني عليها.

كتبَ تشومسكي كتاباً مفصلاً عن هذا الموضوع عنونّه: سنة 501 الغزو مستمر، ثم تتالت الحروب الإبادية في فيتنام والبوسنة والجزائر وفلسطين... ويذكر المسيري أن هتلر نفسه كان في أحاديثه الخاصة كثيراً ما يبدي إعجابه بالمستوطنين الأمريكيين البيض وطريقة معالجتهم لقضية الهنود الحمر. وقد صرّح هتلر في إحدى خطبه أن الحرب التي تخوضها ألمانيا ضد عناصر المقاومة في شرق أوروبا لا تختلف كثيراً عن كفاح البيض في أمريكا الشمالية. ومن هنا كان هتلر يشير الى أوروبا الشرقية بحسبانها «أرض عذراء» وهذا ربما يقودنا الى تشابه الأفكار عند المشروع الإستيطاني الغربي حيث أن المشروع الصهيوني ذاته يروج الى أن فلسطين «أرض بلا شعب» أو مجرد صحراء ومستنقعات موحشة فكان عبء الرجل الأبيض أن يبنيها ويأخذ المسكين على عاتقه مهمة استصلاح أراضيها وزراعة سهولها بالورود وتحويل الصحراء الى أرض خضراء!

إذن فالإبادة التي ارتكبها النازيون ضد اليهود ليست مجرد حدث لحظي طارئ وجديد على التاريخ الغربي إنما هي نمطٌ عام في الحضارة الغربية الحديثة التي تمجد القوة ومبدأ المصلحة كما أسلفنا.

مع كل ذلك فالإبادة النازية لم تطل اليهود وحدهم وإنما طالت الكثير من العجَزَة والأطفال المعوقينَ والشيوعيين وأعضاء النخبة البولندية وأسرى الحرب، أي أنها فعلٌ إجرامي يمارَسُ لإزالة أيّ معوقات تقف في وجه المشروع حتى وإن كلّفَ ذلك إبادةً يروح ضحيتها ملايين البشر وتُدمَّر البيئة وتصبح المُدنُ خراباً. إنها واحدة من الصيَغ الحداثية المرعبة التي وصفها سيغموند باومن «بإعادة هندسة المجتمع» بكل أطيافه بما يتوافق مع المشروع، والأضرار الجسيمة التي ستحدثها هذه الهندسة مهما بلغت سوف تُعتبَرُ أضراراً جانبية في سبيل إزالة العراقيل وعلى ضوء هذه الإزالة/ الإبادة يقاس مستوى النجاح والفشل.

من في يده القوة/الهيمنة والعلم التجريبي منزوعَ القيمة والأخلاق يمكنه أن يفعل مايشاء مستنداً على مبدأ النسبية المُطلقة لتبرير أفعاله وجعلها تبدو منطقيةً. هذا جوهر الحضارة الغربية منذ نشأتها وهي على مايبدو متوجهة نحو تغيير كبير لأن شعوبها ضاقت ذرعاً من هذه الأفكار العنصرية وبدأت تأخذ منحاً إنسانياً حقيقياً في نظرها للأعراق والأمم الأخرى.

روزا لـوكسمبورغ وتطـويـر الماركسيـة من منظور نسوي

يبرز اسم روزا لوكسمبورغ كرمز لا يُنسى... امرأة اختزلت في شخصها الفكر الثوري، والجرأة الفكرية، والالتزام الوجداني الكامل بالقضية. أستهلّ مناسبة يوم ا أيار، عيد العمال العالمي، باختيار روزا لوكسمبورغ من سلسلة «نساء غيّرن التاريخ». رقم ٢.

في هذا السياق، نادرًا ما نجد شخصية تجسّد بعمق روح امرأة مناضلة، بفكر ماركسي حادّ، وناقد، وبقلب أممي لا يعرف المساومة، كما تجسّدها روزا لوكسمبورغ. لم يكن فرانز مهرينغ، كاتب سيرة كارل ماركس، مبالغًا حين وصف روزا بأنها "العقل الثاني بعد ماركس"، وأنا أضيف بأنها العقل الأول كامرأة فهمت الرأسمال، والصراع الطبقي، والنضال من أجل عالم اشتراكي أفضل للبشرية.

بيان صالح

كما كتبت عنها صديقتها المقربة المناضلة والمفكرة الكبيرة كلارا زيتكن في نعيها: كانت الفكرة الاشتراكية تملأ قلب وعقل روزا لوكسمبورغ، وشكلت شغفها الخلاق ومهمتها الكبرى: تمهيد الطريق للثورة الاشتراكية. كانت تجربة الثورة والمشاركة في معاركها قضيتها الكبرى. بإرادتها الصلبة قناعتها الكاملة، كرست حياتها بالكامل للاشتراكية، ليس فقط بوفاتها المأساوية، بل بكل لحظة من حياتها ونضالها الطويل، كانت المناضلة والشعلة الحية للثورة.

فمساهماتها لم تكن مجرّد إضافات على النظرية الماركسية، بل كانت نارًا تنبض في قلب الحركة الثورية. روزا لم تكتب فقط، بل عاشت نضالها. منحت قضيتها قلبها، وعقلها، وإرادتها، بل حياتها كلها. لم تكن تهادن، ولم تقبل أنصاف المواقف، بل كانت تجسيدًا حقيقيًا لماركسية ثورية لا تعرف التراجع.

روزا لوكسمبورغ: من بولندا إلى ساحات الثورة

وُلدت روزا لوكسمبورغ عام 1871 في بولندا، وانخرطت في العمل الثوري منذ سن السادسة عشرة، ضمن صفوف حزب «بروليتاريا» الذي تميّز بتنظيم الحركة العمالية، بعيدًا عن النزعات الفردية والمغامرات الإرهابية. بعد قمع الحزب، غادرت إلى سويسرا لدراسة الاقتصاد والعلوم، وسرعان ما أصبحت من أبرز الأصوات الفكرية المعارضة في صفوف المهاجرين الثوريين.

منذ بداياتها، تميزت روزا بجرأة فكرية نادرة، ووقفت ضد التيارات القومية داخل الحركة الاشتراكية البولندية، دفاعًا عن النضال الطبقي الأممي. وفي ألمانيا، التحقت بالحركة العمالية، وأصبحت من أبرز منظّري الحزب الاشتراكي الديمقراطي، وشاركت في تحرير العديد من الصحف وتقديم الخطابات الجماهيرية، رافعة راية الثورة.

الثائرة التي لم تهدأ ومناضلة لم تعرف التراجع أو السكون

انحازت دوما روزا إلى الجماهير الكادحة، وتسللت سرًا إلى بولندا عام 1905 للمشاركة في الانتفاضة، ثم عادت إلى ألمانيا، حيث واصلت كتاباتها وتحريضها ضد الإمبريالية والحرب. شاركت في تأسيس عصبة سبارتاكوس، نواة الحزب الشيوعي الألماني، إلى جانب كارل ليبكنخت.

في كتابها النظري الأهم – تراكم رأس المال–، شرّحت العلاقة بين الرأسمالية والإمبريالية، واعتُبر عملها أحد أبرز الإسهامات الماركسية بعد ماركس نفسه. خلال الحرب العالمية الأولى، وقفت بكل وضوح ضد النزعة القومية والحرب، فاعتُقلت أكثر من مرة، لكنها واصلت النضال حتى من داخل الزنازين.

روزا لوكسمبورغ لم تكن فقط منظّرة ماركسية، بل كانت ضميرًا حيًا لحركة تحرر الإنسان. في كتاباتها، كما في نضالها، جسّدت الطموح نحو الاشتراكية. وها هي، بعد أكثر من قرن، لا تزال تلهم كل من يؤمن بالبديل الاشتراكي وعالم أفضل للبشرية.

«الحرية دائمًا هي حرية من يفكر بشكل مختلف»، ضد الإصلاحية والبيروقراطية.

الحرية الحقيقية هي حرية من يجرؤ على التفكير المختلف... في مواجهة الإصلاحية والبيروقراطية.

لم تكن روزا لوكسمبورغ فقط مناضلة في الشوارع والساحات، بل كانت أيضًا من أبرز من خاضوا المعارك الفكرية داخل الحركة الاشتراكية نفسها، وخصوصًا ضد التيار الإصلاحي الذي أخذ يتسلل إلى صفوفها.

كان أبرز هذه المعارك سجالها مع إدوارد برنشتاين، المنظّر الأبرز لما سُمّي بـ"الاشتراكية التدريجية"، حيث رأت فيه روزا خطرًا حقيقيًا على جوهر الماركسية وروحها الثورية.

في كتيبها الشهير إصلاح أم ثورة؟، أكدت أن الإصلاح لا يُغني عن الثورة، وأن النضال البرلماني، مهما بدا ضروريًا، لا يكفي لبناء مجتمع اشتراكي، لأن النظام الرأسمالي لا يمكن إصلاحه من الداخل، بل لا بد من تجاوزه كليًا.

لكنّ نقدها لم يتوقف عند الإصلاحيين.

روزا واجهت أيضًا لينين و تروتسكي، ليس من موقع العداء، بل من موقع الرفيقة الذي ترى خطر البيروقراطية المركزية على الروح الديمقراطية للثورة. اختلفت معهم حول بنية الحزب، وعارضت النموذج الهرمي المغلق الذي اعتبرته خطرًا على العلاقة العضوية بين الحزب والجماهير. لم تكن تخشى قول الحقيقة، حتى في وجه الحلفاء وأقرب الرفاق.

وكتبت في إحدى رسائلها من السجن:

«الحرية دائمًا هي حرية من يفكر بشكل مختلف».

عبارة اختزلت فيها ليس فقط موقفها من البلاشفة، بل موقفها من كل سلطة تُقصي التعدد والتنوع، حتى لو كانت سلطة اشتراكية ثورية. بالنسبة لروزا، لم يكن النضال من أجل الاشتراكية منفصلًا عن النضال من أجل الحرية والديمقراطية. فأي اشتراكية لا تُبقي مجالًا للصوت المختلف، هي نفيٌ لروح الثورة ذاتها.

لحظة الثورة... ولحظة الغدر

حين اندلعت الثورة الألمانية عام 1918، لم تتردد روزا لوكسمبورغ لحظة. بعد خروجها من السجن، التحقت برفاقها ورفيقاتها في قلب العاصفة وفي الميدان الجماهيري. لم تكن الثورة بالنسبة لها مجرد حدث سياسي، بل كانت لحظات مصيرية يتجلّى فيها جوهر الإنسان في أقصى درجات وعيه وشجاعته. وفي خضم تلك الأيام العاصفة، كتبت، حرّضت، نظّمت، ناضلت، وظلّت وفيّة لقيمها حتى النهاية. وخاضت معركتها الأخيرة بصلابة لا تلين. كانت تعرف أن الثمن قد يكون حياتها، لكنها لم تساوم.

قالت في إحدى رسائلها:

«لقد كنت، وسأبقى، ما أنا عليه: مناضلة في صفوف الاشتراكية».

وفي 15 يناير 1919، وقعت لحظة الغدر. اعتُقلت روزا مع رفيقها كارل ليبكنخت، واقتيدا من قبل ميليشيات الثورة المضادة. لم تكن هناك محاكمة، لم يكن هناك قانون؛ فقط رصاصة في الرأس، وضرب حتى الموت، ثم جسد مُلقى في قناة برلين.

كان ذلك اغتيالًا لجسد، لا لفكرة. فجسد روزا غاب، لكن افكارها لم تُدفن.

لقد كانت، وظلّت، ضميرًا حيًا لحركة تحرّر الإنسان، صوتًا لا يُخمد، ونداءً دائمًا نحو عالم اشتراكي أكثر عدلًا.

إن موتها لم يكن نهاية، بل بداية لمرحلة جديدة في الذاكرة الماركسية الثورية، حيث تُقرأ كلماتها اليوم ليس كتاريخ، بل كراهن وكأفق اشتراكي مفتوح.

دور الكادر في صنع الوعي وتطوير البناء

قاسم الحلال

كيف حظيّت الطبقة العاملة بثقافة برز من خلالها كادر استطاع تنمية قدراته النضالية وكيف توصل إلى ثقافة القدوة بتغلبه على الصعوبات، حيث استطاع فهم ما يدور حوله دراسة المشاكل والتناقضات الاجتماعية؟

لقد تمّ ذلك من خلال تشرب المناضل للوعي الأيديولوجي، وتوظيف مفاهيم هذا الوعي لأجل الثقافة الاجتماعية لعامة الناس وتزويدهم بالمبادئ المعينة لهم في بناء وطن ينعم أبناؤه بمستقبل مشرق يكفل لهم العمل والعيش الكريم والبيئة النظيفة، وتسود فيه المفاهيم العلمانية المعادية للتخلف والظلامية، وصار الكادر الثقافي الذي تلقى العلوم والمعارف يلعب دوراً عظيماً في ابراز صوت الطبقة العاملة في صراعها مع البرجوازية التي تسعى جاهدة وبشتى السبل في نهب ما تجنيه جموع شغيلة قوى الشعب العامل، حيث تتعرض الطبقة الكادحة لأبشع أشكال الجشع والاضطهاد والقسوة.

وأخذت هذه الكوادر على عاتقها مهمّة الوقوف الى جانب صقل المواهب لمواصلة مسيرة البناء والنماء الاقتصادي والسياسي والاجتماعي، في مواجهة الأفكار المحافظة التي تتبناها بعض القوى التي تحسب نفسها على التدين، فيما الدين براء منها، حيث أن المتدين المعتدل يحمل صفات حميدة، يحبّ شعبه ووطنه ويرفض الطائفية ويسعى لخلق قاعدة تلاحم بين أبناء شعبه بصرف النظر عن الانتماء والدين والمذهب، إيماناً منه بضرورة تحاشي الفتن، ودفع المجتمع نحو التنشأة الخلاقة وإبعاده عن بؤر الفساد والتفسخ.

هذا هو الدور المنوط بالكادر الذي يجترح سبل كسب مواقع اجتماعية عامة لأبناء الوطن الواحد، تعزيزاً لإنتصاراتنا شعبياً في سبيل حياة معيشية أفضل، ولولا كفاءة الكادر لما نظمت وبسلاسة أسس العلم والمعرفة وكيفية توظيفها في المجتمع، وإبعاده عن شبح الفرقة والطائفية، والتحلي بالواقعية السياسية والبعد عن التطرف والتأكيد على الدور النضالي في تحقيق سلمية الانتقال بجهود القوى الوطنية ورديفها القوى العاملة.

ولا بد من تحقيق شرط آخر ألا وهو الجمع بين النظرية والممارسة، لتحسين فرص النجاح، الذي يرتبط بفهم العلاقة بين العقل الإنساني وما يفرزه من ثقافات بناءة، حيث يتعين على الكادر أن يستند إلى الحقائق ويضع أمامه أمل الانتصار والتطور، ليس لمجرد الفوز، بل لخدمة العملية النضالية من أجل إعداد مجتمع متماسك تقدمي حديث يشكّل قوة تساند أبناء شعبها ضد القهر اليومي.

ندرك أن العمل لتغيير توازن القوى غير مستقر وغير حاسم لصالح المجتمع، لكن لا بد من الإستفادة من الإيجابيات، بينها وجود القوى الوطنية في البرلمان، بصرف النظر عن قلّة عددها ومحدودية الصلاحيات البرلمانية، لأن هذه القوى توصل الصوت الوطني والشعبي، ووتسعى لتحقيق مكاسب أكثر للشعب، والدفع في اتجاه تطوير العملية السياسية.

ندرك أن العمل لتغيير توازن القوى غير مستقر وغير حاسم لصالح المجتمع

تقارير

النساء يواجهن فجوة رقمية تهدد مستقبلهن المهني

أظهرت تقارير دولية صادرة عن منظمة العمل الدولية والأمم المتحدة ودراسات حديثة أن النساء أكثر عرضة للتأثر سلبًا بأتمتة الوظائف مقارنة بالرجال، في ظل افتقارهن للمهارات الرقمية الأساسية بنسبة تقل بـ25٪ عن نظرائهن الذكور، وهو ما يُنذر بفجوة مستقبلية مقلقة في سوق العمل المدفوع بتقنيات الذكاء الاصطناعي.

دراسة دنماركية شملت 100 ألف موظف كشفت عن فجوة واضحة بين الجنسين في استخدام أدوات الذكاء الاصطناعي، مثل «شات جي بي تي»، حيث تبين أن النساء أقل استخدامًا لها بفارق يصل إلى 20 نقطة مئوية. وقد ظل هذا التفاوت قائمًا حتى داخل نفس المؤسسات، بغض النظر عن طبيعة المهام الوظيفية.

ويحذر خبراء من أن غياب الدعم المؤسسي وصعوبات تخصيص الوقت للتدريب، خاصة بين العاملات بدوام جزئي، يعمق من هذه الفجوة. وتشير مراجعة بريطانية إلى أن الاستفادة الحقيقية من الذكاء الاصطناعي لا تحدث تلقائيًا، بل تتطلب خططًا استباقية مدروسة على مستوى الشركات والأفراد.

وفي حين تتوقع شركة «ديلويت» أن تلحق النساء بالركب الرقمي وربما يتفوقن في استخدام الذكاء الاصطناعي التوليدي بحلول نهاية 2025، تبقى التحديات قائمة، خاصة في ظل انحياز بعض الأدوات الذكية للجهات المطوّرة لها، كما كشفت تقارير «فاينانشال تايمز».

ووفقًا للمنتدى الاقتصادي العالمي، لا تشكل النساء سوى ثلث القوى العاملة في مجال الذكاء الاصطناعي، ما يعزز الحاجة لتعزيز المعرفة الرقمية لديهن وتشجيع المشاركة الفاعلة في تشكيل مستقبل العمل.

وفي الختام، تؤكد شركات استشارية كبرى أن غالبية المؤسسات لم تبلغ بعد مرحلة النضج في تبني الذكاء الاصطناعي، مما يمنح الأفراد فرصة سانحة لتعلم المهارات الجديدة والانخراط في هذا التحول مبكرًا.

فايننشال تايمز: ١٨ يونيو ٢٠٢٥

عمالة الأطفال عالمياً: 138 مليوناً يُستغلون في ظروف قاسية

كشف تقرير مشترك جديد لمنظمة العمل الدولية ومنظمة الأمم المتحدة للطفولة «يونيسف» أنّ 138 مليون طفل لا يزالون يعملون حول العالم في عام 2024، من بينهم 54 مليون طفل ينخرطون في أعمال خطرة تهدد صحتهم وسلامتهم. وبينما تشير الإحصائيات إلى تراجع ملحوظ في أعداد الأطفال العاملين منذ عام 2000، لا يزال التقدم بطيئاً وغير كافٍ لتحقيق هدف الأمم المتحدة بالقضاء على عمالة الأطفال.

وقال جيلبرت هونغبو، المدير العام لمنظمة العمل الدولية إن نتائج التقرير «تبعث على الأمل وتُظهر أن التقدم ممكن»، مشدداً على ضرورة «ألا نغفل عن حقيقة أن الطريق لا يزال طويلاً».

تعتبر ظاهرة عمالة الأطفال في عدد من الدول العربية قضية «مقلقة» إلى حد كبير، إذ أشارت تقارير إلى أرقام وصفت بـ«الخطيرة والصادمة» لهذه الظاهرة. وتتعدد أشكالها نتيجة لأسباب عدّة منها: التغيّرات المناخية، وتبعات انتشار فيروس كورونا، إلى جانب الصراعات المسلحة وانعدام الأمن الغذائي والمجاعات، وفق ما أعلنته منظمة الأمم المتحدة.

وكالات: ١٢ يونيو ٢٠٢٥

إسرائيل هي الشيطان والشيطان إسرائيل

هناك عبارة لافتة وردت في قصيدة» مديح الظل العالي» للراحل الكبير الشاعر الفلسطيني محمود درويش، التي كتبها عام ١٩٨٢، يناجي فيها بيروت ويسرد وصفاً بليغا للحالة التي كانت عليها، وخذلانها من قبل العرب أجمعين، تماما كما يحدث اليوم لغزة. تقول العبارة التي ذهبت مقولة ذائعة الصيت: «يا هيروشيما (يُشبّه بيروت وقد حاق بها الدمار الذي خلفة القصف الإسرائيلي على مدار ٨٨ يوما، بهيروشيما) العاشق العربي، أمريكا هي الطاعون والطاعون أمريكا. نعسنا، أيقظتنا الطائرات وصوتُ أمريكا».

د. محمد الصياد

الجميع في أرجاء العالم بات اليوم متيقنا من صحة وصدقية توصيف الشاعر محمود درويش لأمريكا. إنما بالمقابل، كان العالم أمام اكتشاف جديد، قد يكون مستعارا من توصيف درويش. والفضل في هذا الكشف المبين، منسوب حصراً وفضلاً لأطفال غزة ونساء غزة وشباب وشابات غزة وشيوخ وكل شهداء غزة. فبضل كل هؤلاء تيقّن العالم من أن «إسرائيل هي الشيطان والشيطان إسرائيل».

هنا سوف يستحضرنا المثل العربي الشعبي الدارج "اقلب القدرة على فمها تطلع البنت لأمها"، أو كما يقول الانجليز والأمريكيون "مثل الابنة، مثل الأم"، للدلالة على تقاسم الابنة والأم نفس السمات والخصائص والسلوكيات، بما في ذلك سيماء الشخصية والملامح الجسمانية. فأمريكا هي إسرائيل وإسرائيل هي أمريكا باعتراف الزعامات السياسية الأمريكية المتعاقبة. فالعصابات التي هجّرت الشعب الفلسطيني من أرضه وأنشأت كيانها الغاصب بمساعدة الغرب الامبريالي، والتي أحكمت قبضتها على السلطة في فلسطين المحتلة منذ 1948، هي ليست سوى ذات العصابات الأمريكية والأوروبية التي غزت واحتلت وأقامت المستعمرات في أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية. والساسة الصهاينة هم أمريكيون وأوروبيون كولونياليون احتالوا على اليهودية والمسيحية للتغطية على مشروعهم الامبريالي النهبي العالمي الذي تشكل المنطقة العربية وجوارها (الشرق الأوسط حسب اختراع المستشرقين الغربيين)، إحدى أهم مراكز السيطرة والهيمنة الامبريالية الأمريكية/الغربية على العالم أجمع. فكان التشبيك مع الكنيسة الانجليكانية أحد مفاتيح نجاح المشروع.

حيث قامت عائلة روتشيلد1، بتمويل اللاهوتي والوزير الأمريكي سيروس إنجرسون سكوفيلد (1843–1921)، لتحريف الكتاب المقدس وانشاء الأصولية المسيحية الصهيونية، واستهداف الكنائس الأصولية لحشد دعمها للأجندة الصهيونية، واختراق الديانة المسيحية واختطافها، بما يتوافق مع استراتيجية آل روتشيلد للسيطرة على العالم. كان العميلان الرئيسيان في هذا المخطط هما سيروس سكوفيلد نفسه وجون نيلسون داربي (1800–1882)، الإنجليزي الايرلندي الذي كان يُدرّس مادة الكتاب المقدس ومؤسس جماعة الإخوان الحصريين (وهي مجموعة فرعية من الحركة الإنجيلية المسيحية التي يطلق عليها أيضا إخوة بليموث.

لم يكن اختيار عائلة روتشيلد لسيروس سكوفيلد، اعتباطيا. ففي خلفيته الاجتماعية والشخصية ما "أهله" لهذا الاختيار. فقد كان شخصا انتهازيا ووصوليا، تحايل لتفادي المشاركة في الحرب الأهلية الأمريكية وتعريض حياته للخطر، بدخول المستشفى أولاً ومن ثم الحصول على ترخيص بالخروج من المستشفى، ليس للتوجه الى الجبهة وإنما الى مدينته. كما تحايل أكاديميا بادعائه أوائل تسعينيات القرن التاسع عشر، حصوله على درجة التكتوراه الفخرية في اللاهوت من دون وجود سجلات تثبت حصوله عليها من أية مؤسسة أكاديمي

ما زرعه داربي، سقاه سكوفيلد ونشره. فقد خدم اللاهوت الذي طوراه، أجندة آل روتشيلد من خلال نشر وتسويق الادعاءات التالية: إن الله يريد أن يعود اليهود إلى فلسطين ويستولون عليها؛ وإن لدى الله خطتان للخلاص، واحدة من خلال إنجيل يسوع المسيح، والأخرى ضمانة محفوظة لليهود الذين هم "شعبه المختار"؛ وإن الكنيسة المسيحية محكوم عليها بالفشل الحتمي، الأمر الذي سيؤدي إلى نهاية تدبير النعمة؛ وإن نهاية هذا العصر التدبيري سوف تتميز بالضائقة، حيث يزداد الاضطهاد العالمي تحت حكم المسيح الذي ستتم مناهضته لمدة سبع سنوات؛ ومع ذلك، لا يحتاج المسيحيون إلى الاهتمام بهذا الأمر، لأن يسوع سوف "يخطف" المؤمنين من الأرض ولن يكونوا موجودين ليختبروا ذلك؛ وستشهد الأرض بعد ذلك حقبة يهودية، سيتم خلالها إعادة تقديم الأضاحي الحيوانية الطقسية اليهودية؛ وهذا ما سيمكّن يسوع من الحكم والملك لمدة ألف سنة من إعادة بناء هيكل سليمان في أورشليم.

وهكذا، فإنه لولا نشر هذه الأفكار على نطاق واسع، ربما لم تكن هناك دولة إسرائيلية تم إنشاؤها في عام 1948، ولا أحداث 11 سبتمبر، ولا ابتُليت المنطقة العربية وجوارها (الشرق الأوسط بحسب السردية الغربية). فما كان ممكناً استيلاء الصهاينة على فلسطين دون موافقة وتعاون المجتمع المسيحي في العالم. ونظراً للصراع المستمر منذ قرون بين اليهود والمسيحيين، فقد كان لزاما "إعادة تشكيل" اللاهوت المسيحي لاستيعاب خطة روتشيلد.

لقد ظهر سايروس سكوفيلد وكتابه المقدس المرجعي على الساحة لهذا الغرض الصريح. "حكومة عالمية واحدة وعائلة روتشيلد" ستحكم الحكومة العالمية من قبل شخصية مظلمة يسميها الكتاب المقدس "الوحش" أو "عدو المسيح" أو "المسيح الدجال". يقول سفر الرؤيا أنه سيكون له "سلطان على كل قبيلة وشعب ولسان وأمة". عاصمة هذه الحكومة العالمية الشريرة ستكون القدس، المدينة التي يقدسها المسيحيون والمسلمون واليهود على حد سواء، والتي سيكون مركزها إسرائيل الكبرى. ولهذا الغرض خصصت عائلة روتشيلد ثروتها للحركة الصهيونية، بدءاً من عام 1829 على الأقل.

وبدأ تيودور هرتزل في استضافة المؤتمرات الصهيونية العالمية في مدينة بازل السويسرية عام 1897؛ وتم التواطؤ مع القصر والملكي والحكومة البريطانيين على إصدار وعد بلفور. إعلان للورد والتر روتشيلد في عام 1917، وعد فيه الصهاينة بـ: "إنشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين" مقابل قيام الصهاينة بإدخال أمريكا في الحرب العالمية الأولى إلى جانب بريطانيا.

كان جون نيلسون داربي، الشخصية الرئيسية التي استعار منها سكوفيلد تحليله للكتاب المقدس، شيطانيا وماسونيا ووكيلا لشركة الهند الشرقية البريطانية المملوكة لروتشيلد، التي كانت حينها، أقوى شركة متعددة الجنسيات؛ وكانت وراء تحويل ملايين الصينيين إلى مدمنين على الأفيون. بعد أن صار داربي زعيما للطائفة

المسيحية التي كانت تُدعى إخوان بليموث (سميت على اسم مدينة مرفأ بليموث بإنجلترا نظراً لارتباط نشأتها واجتماعاتها بالمكان)، قام بنشر عقيدته "النشوة السرية" في بريطانيا، كما سافر الى أمريكا لترويجها، حيث صاغ، على أساسها، نسخته الشيطانية من الكتاب المقدس بطريقة تدليس تحاشت التحوير الشامل للكتاب المقدس، لتفادي الانكشاف. فقد كان نهجه ونهج أتباعه من بعده، هو التقليص والحذف والزيادة، بإضافة كلمة هنا، وعبارة هناك، على هدي ما تسمى الإستراتيجية العالمية لغلي الضفدع "Boiling the frog".

في عام 1901، أصبح سكوفيلد عضوا في نادي لوتوس الحصري في نيويورك، وهو مكان التقاء واستراحة النخبة المالية والأدبية في المدينة الأمريكية. كان من بين أعضاء النادي الكاتب الأمريكي الساخر، المنافق لليهود الصهاينة الأمريكيين في نيويورك مارك توين (1835– 1910)، ومالك صحيفة نيويورك تايمز اليهودي الصهيوني آرثر هاي سولزبيرجر 1891–1968)، والصناعي أندرو كارنيجي (1835– 1919)، وعالمة الأنثروبولوجيا (علم الانسان) وبضمنها أنثروبولوجيا المثلية الجنسية، مارغريت ميد (1901–1978).

وقد تمت الموافقة على قبول سكوفيلد في نادي لوتوس من قبل المحامي الصهيوني المتطرف في اللجنة الأدبية للنادي، اليهودي من أصول ألمانية، صموئيل أونترماير (1858–1940) الذي شغل طوال حياته منصب رئيس كيرين هايسود (الملاك المالي الرئيسي للصهيونية)، ولعب دورا رئيسيا في صياغة قانون الاحتياطي الفيدرالي؛ وكان معروفا بابتزازه للرئيس الأمريكي وودرو ويلسون لتعيين لويس براندیز في المحكمة العليا؛ كما كان وراء صياغة يهود أمريكا لـ"اعلان الحرب" ضد ألمانيا عام 1933. لن يكون مفاجئاً، والحال هذه، أن يرعى شخص هو بمرتبة كبار رواد الصهيونية في أمريكا، في نادي لوتوس، لاهوتي أنتج كتاب المسيحية المحرفة "الصهيونية المسيحية". لقد صمد سكوفيلد أمام سخرية بقية أعضاء النادي منه كواعظ أصولي، وبقي عضواً في نادي لوتوس حتى وفاته في عام 1921، رغم أن رسوم العضوية وحدها تعادل خُمس راتبه ككس.

في عام 1904 سافر سكوفيلد وزوجته هيتي"، حيث التقى أحد معارفه في لندن، وهو روبرت سكوت، وأخبره بأنه – وهو

الذي لا يملك خلفية أكاديمية تؤهله لتحرير كتاب بوزن الكتاب المقدس – ينوي تأليف كتاب مقدس مرجعي، ويريد أن يدله على من يساعده في نشر الكتاب. فكان أن قدمه سكوت إلى هنري فرود، رئيس مطبعة جامعة أكسفورد التي كانت مملوكة لليهود الصهاينة ويديرها الاشتراكيون الفابيون. وكانت مخصصة في المقام الأول لنشر الكتب الأدبية والعلمية، وليس الأناجيل.

حتى الفاتيكان صار في حكم المختطَف من قبل الصهاينة ذاتهم، بعد قبول الكرسي الرسولي عرض عائلة روتشيلد في عام 1832 لاقراضه. بل هناك من يعتقد في الغرب أن علاقة التخادم بين عائلة روتشيلد والفاتيكان، تعود لفترة أبكر بكثير من حادثة القرض. كان سكوفيلد قد تكفل في عام 1897 بنشر أفكار داربي كالفيروس.

وهذا ما سهل مهمة ثيودور هرتزل في تنظيم المؤتمرات الصهيونية بدعم من روتشيلد في سويسرا، ووضعْ خطة للاستيلاء الصهيوني على فلسطين. ولمعرفته أن هذا المخطط بحاجة لمباركة مسيحية، فقد اتصل هرتزل في عام 1904 بالبابا بيوس العاشر "Pope Pius X"، الذي استماح منه العذر والأسف لعدم قدرته على تنفيذ خطته. بعد الرفض الكاثوليكي، قررت عائلة روتشيلد أن البديل المطلوب والضروري لنجاح الخطة هو الحصول على الدعم البروتستانتي لها. ولكن هذا لا يمكن تحقيقه إلا من خلال التلاعب بالكتاب المقدس لجعل الأمر يبدو وكأن الله نفسه قد أمر بأن يستعيد اليهود فلسطين. مثل هذا الكتاب المقدس يجب أن يأتي من شخص غير يهودي، شخص لديه أوراق اعتماد كعالم لاهوت. فكان "ظهور" سيروس سكوفيلد وكتابه المقدس المرجعي.

وهكذا، قام المصرفي اليهودي، روتشيلد، بتمويل الكتاب المقدس الذي يستشهد به دعاة الكنائس المسيحية، لاسيما دعاة المسيحية الإنجيلية "Evangelical Christianity" الفاسدين. وقد نجح روتشيلد وأترابه من اليهود الأمريكيين الصهاينة، بهذه الأساليب الخبيثة في خداع وتطويع إرادة القسم الأعظم من الشعب الأمريكي البسيط. وهو ما أمّن لإسرائيل كثزاً من المال لا ينضب. وه ما يفسر تمتع هؤلاء "المصطفين" بازدواجية الجنسية (الأمريكية الإسرائيلية والأوروبية الإسرائيلية والروسية الإسرائيلية الخ) التي تمكنهم من التسلل إليها والخروج منها وقتما يشاؤون حسبما تقتضي المصلحة.

الهوامش والملاحظات

(1) عائلة روتشيلد "Rothschild family"، هي بمثابة الأب الروحي للتجمعات اليهودية عبر العالم، والممول الرئيسي لكل الشرور والدسائس التي ارتكبها الصهاينة اليهود عبر التاريخ والتي لازالوا يواصلون ارتكابها بمساعدة الطابور الخامس الذي أخضعوه وجندوه لخدمة الصهيونية العالمية، والذي صار وجوده محسوسا وملموسا في كل حكومة وكل سلطة تشريعية وكل سلطة قضائية وكل وسيلة إعلامية وكل قطاع ونشاط اقتصادي أو مصرفي، وفي كل بقعة من بقاع العالم، لاسيما في أمريكا وأوروبا. هي في الأصل عائلة مصرفية يهودية أشكنازية أصلها من فرانكفورت في ألمانيا، يقال أنها برزت مع ماير أمشيل روتشيلد (Mayer Amschel Rothschild، 1744–1812)، عامل المحكمة في لاندغريفية هيسن كاسل "Landgraviate of Hesse–Kassel" في مدينة فرانكفورت الحرة التابعة للإمبراطورية الرومانية المقدسة (تم اعلان فرانكفورت مدينة امبراطورية حرة في عام 1372، خاضعة مباشرة للامبراطور الروماني المقدس وليس لأي سلطة ألمانية محلية. ولم تتحرر فرانكفورت من هذا القيد الا في عام 1803). وهو (ماير روتشيلد) الذي أسس أعماله المصرفية في ستينيات القرن الثامن عشر، وتوريث ثروته وتأسيس عائلة مصرفية دولية من خلال أبنائه الخمسة الذين أسسوا شركات في لندن وباريس وفرانكفورت وفيينا ونابولي. حتى أن الامبراطور فرانسيس الأول ملك النمسا، آخر امبراطور روماني مقدس، منح في عام 1822، كل من الإخوة روتشيلد الخمسة الذين كانوا في عام 1822 على رأس بنوك العائلة في أجزاء مختلفة من أوروبا، اللقب الوراثي فرايهر (البارون) في طبقة النبلاء النمساوية.

في هذا الوقت وطوال القرن التاسع عشر، كانت عائلة روتشيلد تحوز أكبر ثروة خاصة في العالم، وتسيطر على قطاعات ومجالات اقتصادية مختلفة، تشمل المصارف وأسواق المال، والميديا، والعقارات، والتعدين، والطاقة، والزراعة، وصناعة الكحول، وصناعة الجنس، وغيرها من الأنشطة الأخرى.

حتى أن بريطانيا التي كانت تتسيد النظام الامبريالي الغربي، اختارت عائلة روتشيلد لإطلاعها على قرار القصر الملكي البريطاني بمنح فلسين التي كانت تحت الاحتلال البريطاني، الى يهود العالم، وذلك حين وجه وزير الخارجية البريطاني أرثر بلفور خطابا/بيانا حمل اسم "وعد بلفور" (Balfour Declaration)، الى أحد عمداء عائلة روتشيلد، وهو اللورد ليونيل والتر روتشيلد (Lionel Walter Rothschild، 1868–1937). كما منحت ملكة بريطانيا، اليزابيث الثانية، في عام 2002 وسام الاستحقاق، وهو أعلى وسام في بريطانيا، الى اللورد جاكوب روتشيلد الذي وافته المنية في فبراير 2024.

ليست محايدة

جائزة نوبل للاقتصاد خاضعة للرؤية اليمينية المحافظة (٢ - ٢)

مُنِحَت جائزة البنك المركزي السويدي للعلوم الاقتصادية تخليداً لذكرى ألفرد نوبل المعروفة بإسم جائزة نوبل في الأقتصاد – لأول مرة عام ١٩٦٩، بعد ثمانية وستين عاماً من قيام مؤسسة نوبل، بناءً على وصية نوبل نفسه، بتأسيس خمس جوائز تحمل اسمه في مجالات الفيزياء والكيمياء والأدب والسلام وعلم وظائف الأعضاء أو الطب. وعلى عكس جائزة نوبل الأصلية، تم تمويل جائزة البنك المركزي السويدي من خارج مُمتلكات نوبل، بهدف حزبي هو تعزيز الإقتصاد الكلاسيكي الجديد أيديولوجياً في مواجهة التيارات المُتطرِفة التي ظهرت في أواخر الستينيات.

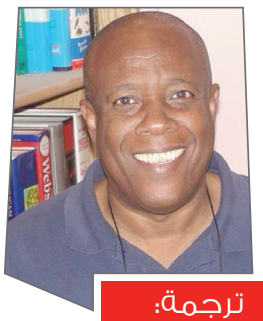

ترجمة:
غريب عوض

بقلم:
عدد من محرري مجلة
Monthly Review

كانت الجائزة محجوزة مُنذُ البداية لمؤيدي الاقتصاد الكلاسيكي الجديد، وخضعت لسيطرة شديدة على مرّ تاريخها من قِبَل الاقتصاديين المُحافظين المرتبطين بمدرسة شيكاغو اليمينية المؤيدة للسوق الحُرّة. وفي أوقات الأزمات، مُنِحت جائزة البنك المركزي السويدي للاقتصاديين الذين تميّزوا ببراعتهم في مواجهة التحليلات اليسارية، والدفاع عن المؤسسات الرأسمالية، مُتظاهرين أحياناً بتمثيل تحليلات ليبرالية أكثر شيوعاً. وهكذا، مُنِحَ بول كروغمان جائزة البنك المركزي السويدي خلال الأزمة المالية عام 2008 لدورهِ كإقتصادي نيوكينزي تقدُمي نسبياً ومُدافع قوي عن النظام القائم، ومُنِحَ ويليام د نوردهاوس الجائزة عام 2018، في وقت الأستعداد لتغيير المناخ العالمي، والذي قلل من أهمية الآثار الأقتصادية لأزمة المناخ والحاجة إلى إجراءات حازمة لتجنُب الكارثة («مُلاحظات المُحررين»، مجلة Monthly Review، العدد 68، رقم 7 (كانون الأول، ديسمبر 2016).

لذا لا عجبَ أنهُ في الوقت الذي كانت فيهِ إسرائيل، كدولة إستعمارية استيطانية، تَرتكِبُ إبادة جماعية بحق الفلسطينيين في غزة، وتقتل وتُصيب أعداداً غفيرة منهم يومياً بأسلحة مصدرها الرئيسي الولايات المتحدة، مُنحت جائزة البنك المركزي السويدي في العلوم الإقتصادية تخليداً لذكرى ألفرد نوبل لِعُلماء أقتصاد دعمت أبحاثهم فكرة أن الأستعمار الإستيطاني قد ولّد مؤسسات سياسية اقتصادية مُتفوقة وأكثر "شمولية". وهكذا، فاز بجائزة «نوبل» لعام 2024 كُلٌ من دارون أسيموغلو، وسايمون جونسون وجيمس أ. روبنسون (يُشار أليهم مجتمعين بإسم AJR) عن أعمالهم في "الأصول الإستعمارية للتنمية المُقارنة". وفي البيان الصَحَفي لعام 2024 لجائزة "نوبل" التذكارية في العلوم الأقتصادية، الصادر عن الأكاديمية السويدية، ذُكِرَ أن الفائزين قد أرسوا الأساس الذي يُحتَمَل أن تزدهر بعض الدول وأن تفشل أُخرى .»في بعض الأماكن، كما هو الحال في معظم أنحاء إفريقيا، كان هدف المستعمرين الأوروبيين هو استغلال السكان الأصليين واستخراج الموارد لصالح المستعمرين".فشلت التنمية الأقتصادية في مثل هذهِ البُلدان في نهاية المطاف. على النقيض من ذلك، في الدول الأستعمارية الإستيطانية حيثُ أستوطن الأوروبيون بأعداد كبيرة، مثل الولايات المتحدة، وكندا، استراليا، أُنشأت "مؤسسات شاملة" لتعزيز التنمية الإقتصادية.

وبالطبع، لم يُذكر في نِقاش المؤسسات الشاملة، سواء من قِبل الأكاديمية السويدية أو في أعمال الحائزين على جائزة البنك المركزي السويدي، أن الدول الاستعمارية الإستيطانية نفسها قد أنخرطت في محو وإقصاء السكان الأصليين، كما لم يُلفت الإنتباه إلى نظام نظام مزارع العبيد الأمريكي، أو إلى مؤسسات جيم كرو؛ ما أسماه مارك توين "الولايات المتحدة للحكم الفردي" دارون أسيموغلو، سايمون جونسون، وجيمس أ روبنسون، "الأصول الإستعمارية للتنمية المُقارَنَة: تحقيق تجريبي".

كما أشار البيان الصحفي للأكاديمية السويدية، كانت حجة الحائزين على جائزة نوبل لعام 2024 أن الأداء الأقتصادي الجديد يعتمد على المؤسسات الشاملة (ويقصدون بها مؤسسات المُلكية الخاصة والرأسمالية المُتَجذّرة، على نحو ساخر، في نزع المُلكية من أصحابها الأصليين والإستبعَاد لأصحابها الأصليين). ولكن لماذا هيمنت هذهِ المؤسسات المزعومة بالشمولية، في بعض الدول دون غيرها؟ كان جواب الثلاثة المُشار إليهم بإسم AJR هو أن هذهِ المؤسسات الشاملة (الرأسمالية) نشأت حيثُ وُجِدَت أعداد كبيرة من المستوطنين المستعمرين الأوروبيين، وهو ما حدث فقط في تلك المناطق من العالم حيثُ لم يُعيقِ المناخ والمرض هجرة المستوطنين. في المستعمرات، وخاصةً في المناطق الأستوائية، حيثُ كان مُعدل الوفيات الأوروبية بسبب الأمراض مُرتفعاً، أنشأ المستعمرون الأوروبيون، بدلاً من الإنخراط في الاستعمار الإستيطاني، مستعمرات "إستخراجية" بحتة، حيثُ أُعيدت المكاسب إلى الوطن الأم. في المُقابل، حيثُ نشأت مستوطنات أوروبية كبيرة بفضل المناخ المُلائم وإنخفاض معدل وفيات المستوطنين، نشأت "مؤسسات شاملة" أو علاقات مُلكية خاصة قوية. وهذا، إذن، يُنظَر إليه باعتبارهِ تفسيراً لسبب تمكُّن المستعمرات الإستيطانية في الولايات المتحدة، وكندا، وأستراليا، ونيوزيلاندا من تعزيز التنمية الرأسمالية الداخلية بينما فشلت المستعمرات الأخرى. ومع ذلك، يمكن الإطلاع على نقد لاذع لأعمال الحائزين على جائزة "نوبل" في الاقتصاد لعام 2024 في مقال نُشرَ عام 2025 في مجلة Human Geography بقلم شهرام أزهر، أستاذ الأقتصاد المُشارك بجامعة باكنيل، ولاية بنسيلفانيا الأمريكية. ويحمل مقال شهرام أزهر عنواناً واضحاً: «جائزة دارون أسيموغلو أم جائزة بول باران؟: نقدٌ لجائزة نوبل في الأقتصاد لعام 2024». يُشير Azhar إلى أن Paul Baran قد استبق الحجة الأساسية التي ساقها الحائزون على جائزة "نوبل" من البنك المركزي السويدي لعام 2024 في كتابهِ بعنوان "الاقتصاد السياسي للنمو" عام 1957. علاوةً على ذلك، تناول بول باران هذهِ القضايا في سياق تحليل أوسع، لا يشمل المناخ فحسب (ومنهُ أمراض/ وفيات المُهاجرين)، بل يشمل أيضاً عوامل مثل مُستويات التنمية والمقاومة التي واجهها المستعمِرون الأوروبيون. وقد أفضت حِجة Baran إلى استنتاجاتٍ مُخالفة لاستنتاجات الحائزين على جائزة البنك المركزي السويدي. ويذكر البروفيسور أزهر في معرض حديثه عن مقاله، "يُقارن هذا المقال بين نظرية الثلاثة AJR الحائزين على الجائزة، والعمل الرائد للإقتصادي الماركسي البارز Paul Baran، في كتابهِ سابق الذكر "الاقتصاد السياسي للنمو"، الذي يُعتبَر المرجع الأساسي لفهم مشكلة التباعد الاقتصادي طويل الأمد بين الدول: وهي مُساهمة لم تُقدّر حتى ذلك الحين في أعمال الثلاثة AJR. أزعم أن مُساهمة Paul Baran (1957)، التي سبقت أعمال الثلاثة

AJR بحوالي خمسة عقود، هي أول من طرح مشكلة أنماط التباعد طويلة الأمد على أنها مُرتَبِطة إرتباطاً وثيقاً بقضية الإستيطان الأوروبي.

كَتَبَ باران أنهُ "لايمكن التمييز بدقة كافية بين تأثير دخول أوروبا الغربية إلى أمريكا الشمالية (وأستراليا ونيوزيلندا) من جهة، و"انفتاح" الرأسمالية الغربية على آسيا وأفريقيا وأوروبا الشرقية من جهةٌ أُخرى". وأشار إلى أنّهُ ليس "المناخ والبيئة الطبيعية" فحسب، بل أيضاً وجود حضارات راسِخة ومدى قدرة المجتمعات الأصلية على مُقاومة غزوات المُستوطنين، كُلها عوامل ساهمت في تحديد أماكن ترسيخ الاستعمار الأوروبي. فحيثُ كانت الظروف البيئية التي تُعيق الإستيطان الأوروبي شديدة للغاية (كما في إفريقيا) أو حيثُ يَصعب التغلب على المجتمعات والسكان الأصليين (غالباً بسبب مَستوى التنمية، كما في أجزاء كبيرة من آسيا)، سارع الأوروبيون "إلى جني أكبر قدر ممكن من المكاسب من الدول المُضيفة، وأخذ غنائمهم إلى أوطانهم." بالنسبة لباران Baran، كان الاستعمار برمتهِ استغلالاً قاسياً أو تَطرّفاً، وشكّل جزءاً مما أسماه كارل ماركس "التراكم البدائي (أو الأصلي) لِرأس المال" حول العالم. لم يكن لأيّ من هذا علاقة بما يُسمى بالمؤسسات الشاملة؛ بل إن الأنظمة التي تحكم تطور الرأسمالية والإمبريالية كانت قائمةٌ دائماً عل الإقصاء (Baran، الإقتصاد السياسي للنمو، 141 – 142؛ أنظر أيضاً جون بيلامي فوستر «الإمبريالية والاستعمار الإستيطاني الأبيض في النظرية الماركسية"، مجلة Monthly Review 76، العدد 9 – فبراير 2025– 1–21).

وفيما يتعلق بالرأسمالية الأحتكارية/ الإمبريالية، يُلاحظ الأستاذ المساعد أزهر Azhar، أن "الحساب الأوروبي المركزي" للثلاثة AJR فارغ تماماً: فالثلاثة AJR في تحليلهم لا يعتبرون "الرأسمالية"، ناهيك "الرأسمالية الإحتكارية"، مدخلاً مفاهيمياً مُناسباً. يُقالُ لنا إنهُ يجب النظر إلى المؤسسات الأقتصادية بمعزل عن منطق رأس المال والنظام العالمي التاريخي الذي أنتج هذهِ المؤسسات في المقام الأول.

لذا، لتقدير أهمية مُساهمة البروفسور بول باران الأصلية، ولماذا يُعد سرد (2001(للثلاثة AJR نسخة بُرجوازية مُضلِلة منها، يجب أن نُولي اهتماماً وثيقاً لـلحظة التفاعل الاستِعماري مع الرأسمالية العالمية. هُنا، يستعير الثلاثة AJR على الفور الكثير من البروفسور باران ويُضللوا سردهُ المادي التاريخي، ويقلبوهُ رأساً على عقب بتحويله إلى أيديولوجية مؤسسية نيوليبرالية ... حيلة تجريبية مُلائِمة لأصحاب رأس المال.

لكن المدى الكامل للتبريرية واللاعقلانية في أعمال الفائزين الثلاثة بجائزة "نوبل" من البنك المركزي السويدي لعام 2024 لا يتضح إلا عند إدراك أستخدامهم لبيانات وفيات الجنود كمقياس لوفيات المستوطنين الأصليين، مُستندين إلى بحث الكاتب فيليب دي كورتين في كِتابهِ بِعنوان "الموت بسبب الهِجرة" الصادر عام 1989، وهو "دِراسة كمية لتكاليف انتقال الجنود الأوروبيين إلى المناطق الإستوائية بين عامي 1815 – 1914.» ورغم أن هذا القياس قد يكون مُبرراً من بعض النواحي، إلا أن مُعدّل وفيات الجنود أعلى بكثير من معدّل وفيات المُستوطنين. إضافةً إلى ذلك، فإن الإشارة إلى الأول على أنّهُ الثاني تُقللُ من شأن الإبادة التي استهدفت السكان الأصليين. وبالتالي، فإن هذا يُغفل ما وُجِدَ الجنود من أجله، أي محو السُكان الأصليين. علاوةً علَى ذلك، كانت مُعدلات وفيات الجنود بسبب الأمراض والزحار أعلى دائماً أثناء الحملات مُقارنةً ببقائهم في ثكناتهم. ولكن في حين توجد بيانات تُميّز بين وفيات الجنود في الثكنات والحملات العسكرية في كتاب Philip D. Curtin، فإن الفائزين بجائزة نوبل الثلاثة لعام 2024 المُشار إليهم بإسم AJR في الأسطر الفائتة تجاهلوا هذا التمييز إلى حد كبير، وغالباً ما تُؤخذ وفيات الجنود في الحملات العسكرية، وليس في الثكنات، كأساس لوفيات المستوطنين في مُحاولة لدعم حجتهم. مُعدلات الوفيات المرتبطة بالاستعمار، في تحليلهم، لا تشمل أبداً الإشارة إلى مُعدلات وفيات السُكّان الأصليين أنفُسهم، الذين لا تُعتَبَر وفياتهم ذات أهمية في سياق جدل حول الفوائد الاقتصادية للإستعمار الإستيطاني المُرتبط بمؤسساتهِ الشاملة. مُعدل وفيات المُستوطنين/ الجنود فقط هو المهم في حجتهم. إذا كان مُعدل وفيات الجنود هو المؤشر الذي استخدمهُ حائزو جائزة "نوبل" من البنك المركزي السويدي لعام 2024 لتقدير وفيات المستوطنين، فإن المؤشر للمؤسسات الشاملة هو إنشاء ترتيبات مُلكية خاصة تنطوي على "حد أدنى من نزع المُلكية (لِهؤلاء ذوي المُمتلكات الخاصة) لا يُذكر هُنا أن المُمتلكات التي تنطوي على هذا القدر المُنخفض من خطر نزع المُلكية، والتي تُمثل المؤسسات الشاملة، قد صُدِرَت في الأصل من السُكان الأصليين.

وهكذا، يتلخص التحليل برمته في فكرة أنهُ حيثُ كان مُعدل وفيات الجنود مُنخفضاً، كانت حواجز الأمراض أمام الاستعمار الإستيطاني مُنخفضة، مما دفع الأوروبيين إلى إنشاء مؤسسات شاملة على شكل مُلكية خاصة ذات مخاطر مُنخفضة للمُصادرة، وهذا أدى بدورهِ إلى إشعال شرارة التنمية الإقتصادية. ورغم أن تحليلَ الثلاثة AJR للإستعمار الإستيطاني يعتمد على مُعدّل وفيات الجنود الأوروبيين، وخاصةً في الحملات التي شُنت ضد الشعوب الأصلية، إلا أن حضور السُكان الأصليين في حجتهم ضئيل (فالسُكّان الأصليون هم "الآخر" غير المدروس الذي سعى الجنود إلى قتله). وكما يُلاحظ الأستاذ أشورام أزهر، "قد يرتجِف المرء رُعباً من المُقاربة اللغوية لمُصطلح "الشمولية" المُريح مع إبادة الشعوب الأصلية، [لكن مثل هذهِ "الأحكام القيمية" لا تعني حائزي جائزة نوبل لدينا"، الذين يتجاهلون ليس فقط الإبادة الجماعية المُرتبطة بالاستعمار الإستيطاني، بل أيضاً واقع العبودية ما قبل الحرب الأهلية في الولايات المتحدة.

إن حقيقة أن كلُ هذا يرتبط إرتباطاً وثيقاً بالإبادة الجماعية الإستعمارية الإستيطانية المُستمرة في فلسطين (سواء بالنسبة للفائزين الثلاثة AJR بجائزة نوبل لعام 2024، ولا شك بالنسبة لأعضاء لجنة نوبل التابعة للبنك المركزي السويدي التي أتخذت القرارأيضاً) قد اتضحت جلياً في مقال بعنوان "غير مُثقفين/غيرمُتحضرين"، كَتبهُ Acemoglu و Robinson في مجلة "السياسة الخارجية" عام 2012. في هذا المقال (وفي كِتابهُما "لماذا تفشل الأُمم")، جادلا بأن "الإسرائيليين الجُدُد"، المُهاجرين اليهود القادمين إلى إسرائيل، جلبوا مَعهم "مؤسسات شاملة" ذات طابع إقتصادي، قادمة من أوروبا، عززت التعليم والتكنولوجيا والتنمية. وفي المُقابل، قيل لنا إن "الفلسطينيين لم يحسنوا إبتكار هذا النوع من المؤسسات الشاملة، التي تُعتَبر أساسية لتحقيق التنمية الإقتصادية". وزعم مؤلفو الكتاب أن إسرائيل كانت "أول ديمقراطية في الشرق الأوسط، لكنها لم تنشرها بين الفلسطينيين"، مما أدى إلى صِراع بين دولة ديمقراطية/ شاملة (إسرائيل) ودولة إستبدادية/غير مُتطورة نسبياً (فلسطين). وقد أدى هذا بدورهِ إلى إندلاع الحرب ومُصادرة الأراضي الفلسطينية التي تُديرها بشكل سيئ في الضفة الغربية وأماكن أُخرى من قِبل المجتمع الإسرائيلي الذي من المُفترَض أنهُ أكثر شمولاً وديمقراطية وتطوراً إقتصادي.

في هذهِ العملية، أُبيدت أعدادٌ لا تُحصى من الفلسطينيين (مع أن هذا غير مُعترف بهِ). تُشير حِجة حائِزي جائزة "نوبل" لعام 2024 من البنك المركزي السويدي إلى أن التطرف مُفيد للرأسمالية، وبالتالي فهو مُفيد للعالم. ومع ذلك، فبينما تهدف هذهِ الحيلة الأيديولوجية الفَجة، المُخبأة وراء ستار ما يُسمى بجائزة "نوبل" في الاقتصاد، إلى تبرير الإستعمار الإستيطاني كشكل "شامل" للتنمية، فإن هذا لا يُقنع إلا شَريحةٌ ضئيلة نسبياً من سكّان العالم في الدول الإمبريالية المُهيّمنة. أما الغالبية العُظمى من شعوب العالم، المُتحررة من كُلِ هذهِ الأوهام، فتستطيع إدراك حقيقة إنكار الإبادة الجماعية هذهِ.

مايكل بوراوي أحد أبرز عُلماء الإجتماع الماركسيين في العالم، قُتِلَ بالقُرب من منزلهِ في أوكلاند، كاليفورنيا، على يد سائق هارب، في 3 فبراير 2025، عن عمر ناهز 77 عاماً. كان مايكل بوراوي أستاذاً لِعلم الإجتماع في جامعة كاليفورنيا، بيركيلي، وهو بريطاني الأصل.

وأشتهر بِكتابهِ الصادر عام 1979 بعنوان «موافقة التصنيع: تغيُرات في عملية العمل في ظل الرأسمالية الأحتكارية»، وهو دِراسة في وصف الأعراق البشرية، تتناول كيفية موافقة العُمال بشكل روتيني على استغلالهم، والتي استندت إلى خبرتهِ العملية في ورشة آلات بشيكاغو. وبِصفتهِ رئيساً للجمعية الأمريكية لِعلم الإجتماع عام 2004، جعل موضوع تطوير علم الاجتماع العام، مُتجاوزاً الإطار الأكاديمي. شَغَلَ منصب رئيس الجمعية الدولية لِعلم الإجتماع من عام 2010 إلى عام 2014. في عدد أبريل/ نيسان ويونيو/ حزيران 1990 من مجلة Socialist Review، نشر مايكل بوراوي مقالاً بعنوان «الماركسية ماتت، عاشت الماركسية»، وأعيدَ نشرهُ بعد فترة وجيزة في كتاب William K. Tabb المُحرر، "مُستقبل الإشتراكية: وجهات نظر اليسار" (دار نشر مجلة Monthly Review اليسارية، 1990). إنتقد مايكل بوراوي بِشدة ما أسماه «مدرسة موت الماركسية»، مُجادلاً بأنهُ ما دامَت الرأسمالية قائمة، ستظلُ الماركسية عدوّها اللدود، لأن تناقضات النظام ستُعيد بإستمرار إنتاج الحاجة إلى الإشتراكية.

د.بروين حبيب

دانشمند ... ملحمة الخروج من المتاهة

كتب الروائي الإيطالي أمبرتو إيكو يوما – وقد كان يرى قراءة الرواية مثل تسلق جبل –: «اقترح عليَّ أصدقائي الناشرون أن أتخفف من الصفحات المئة الأولى من «اسم الوردة» التي وجدوها عسيرة وتحتاج إلى كثير من الصبر. ودون أن أعيد التفكير رفضت، ...لأن تلك الصفحات المئة الأولى هي أشبه بكفّارة أو تدريب، وإذا لم يحببها المرء فالأمرُ أمره وسيبقى عند سفح التل». خطر لي هذا الرأي لإيكو وأنا أنهي قراءة رواية «دانشمند» للروائي الموريتاني أحمد فال الدين والتي حجزت لها مقعدا ضمن ست روايات وصلت إلى القائمة القصيرة للجائزة العالمية للرواية العربية هذه السنة. فحجم الرواية (٦٣٠ ص) والموضوعات التي تناولتها تجعل القارئ المعتاد على الروايات ذات المئتي صفحة والموضوعات العاطفية والاجتماعية يتهيّبها، ولكن ما أن يدخل أجواءها حتى تتكشف له عوالم روائية مختلفة تشده بتفاصيلها وأحداثها، وخاصة أنها تروي سيرة حياة غير عادية لواحد من علماء الإسلام الكبار الذي لا يزال تأثيره راهنا. فالإمام أبو حامد الغزالي لا يقل جاذبية علمية عن الشافعي أو عن شيخه الجويني كما لا يقل جاذبية صوفية عن ابن عربي وجلال الدين الرومي.

الكاتب أحمد فال الدين

غلاف رواية «داشمند»

ولم يكن أحمد فال الدين الروائي الوحيد الذي استلهم شخصية الإمام الغزالي في عمل روائي، فقد سبقه الروائي المغربي عبد الإله بن عرفة باثني عشر عاما لما كتب روايته «طواسين الغزالي» وإن كان ركز في روايته على الرموز وحساب الجمّل واحتجاز الغزالي في قلعة الحشاشين كما ربط بين تصوف الحلاج صاحب الطواسين وتصوف الغزالي وهذا واضح بدءا من عنوان الرواية. أما الرواية الثانية التي استلهمت شخصية الغزالي فهي «الغواص» للروائية المصرية ريم بسيوني وقد صدرت بعد سنة من رواية أحمد فال الدين، وكذلك كانت لها رؤيتها الخاصة لشخصية الغزالي مع منح مساحة أكبر لحضور المرأة في حياته وخاصة زوجته. وهذه الروايات الثلاث تدخل ضمن خط بدأ يتسع في معمار الرواية العربية يستلهم الشخصيات التاريخية الكبرى وخاصة العرفانية منها وما كتب عن جلال الدين الرومي وابن عربي يغنينا عن الأمثلة. ورواية دانشمند تقع ضمن هذا السياق، وهي تلفت انتباه القارئ من عتبتها الأولى مثيرة التساؤل حول معنى هذا العنوان الغريب.

نقرأ في الغلاف الخلفي أن هذه الكلمة الفارسية تعني عالم العلماء، وقد وضح أحمد فال الدين في بعض لقاءاته المصورة أنه اللقب الذي كان ينادي به تلاميذ الغزالي أستاذهم ومنهم تلميذه الفقيه الأندلسي أبو بكر ابن العربي، ورغم أن الغزالي ملقب في الأدبيات الإسلامية «بحجة الإسلام» إلا أن لقب دانشمند أكثر غرابة وجاذبية وأصلح أن يكون عنوانا لنص إبداعي، وقد نجح في لفت النظر إلى الرواية، كما نجحت العتبة الثانية كذلك في إثارة فضول القارئ وهي أشبه بالمقدمة حيث استلّ الروائي الفصل 55 من روايته وافتتح به كتابه، وأعطاه عنوان الميلاد الثاني فكانت هذه الطريقة أشبه بالإعلان الترويجي المصور للأفلام، وحسنا فعل أحمد فال الدين فلولا ذلك لبدأت الرواية بداية تقليدية من طفولة الغزالة، التي كانت الميلاد الأول، لكنه قدّم الميلاد الثاني على الأول لأنه اللحظة المحورية التي قلبت حياة الغزالي رأسا على عقب أي لحظة التحول من عالم مشهور يجالس الخلفاء والسلاطين ويفحم الخصوم ويتّبعه التلاميذ، إلى درويش صوفي يلبس المرقّعة وتدمى رجلاه من السير حافيا ويعاني من الفقر والجوع، تاركا وراءه حياة كاملة فيها زوجة وبنتان صغيرتان، يرى كل ما مضى من حياته غزْلا فاسدا لا بد من نقضه خيطا خيطا. وهذه الحيلة الفنية بتقديم هذا الفصل تغري القارئ بولوج عوالم الرواية بحثا عن فك لغز هذا التحول.

قسم أحمد فال الدين روايته إلى خمسة أقسام هي: اليتيم، دانشمند،الهارب، الناسك، بقلب سليم. تتجزّأ هذه الأقسام بدورها إلى 95 فصلا مرقّما، بعض هذه الفصول مسبوق بأقوال مفتاحية لجلال الدين الرومي وغيره. وقد بدأت الرواية من الطابران – وهي جزء من مدينة طوس التاريخية قرب مدينة مشهد الإيرانية حاليا– سنة 456 هـ وانتهت في المدينة نفسها سنة 505 هـ وهو تاريخ وفاة الغزالي، أي غطت نصف قرن من حياته التي امتدت خمسا وخمسين سنة. أما مداها المكاني فقد امتد من كليرمونت بفرنسا إلى القدس مرورا بالقسطنطينية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية، وكبرى المدن الإسلامية في القرن الخامس الهجري كنيسابور وأصفهان وبغداد ودمشق، وكان كل فصل يفتتح باسم المكان والزمان الذي جرت فيه الأحداث وكأننا أمام كتاب حوليات. لا تكتفي هذه الرواية التاريخية العرفانية بتتبع حياة الغزالي ممّا بعد الولادة إلى الوفاة فقط، بل هي سجل دقيق لنصف قرن مائج بالأحداث السياسية والعسكرية والحروب والمؤامرات ووصف للمدن القديمة بأسواقها وحاراتها وبيوتها، بل حتى طعام أهلها وشرابهم ولبسهم، في دلالة واضحة على الجهد البحثي الكبير الذي سبق كتابة الرواية، حيث بنى أحمد فال الدين عوالم القرن الخامس حتى كأن القارئ يراها رأي العين مما يغفر له استغراقه أحيانا في التفاصيل التي أثثت نصه الروائي.

تقوم رواية «دانشمند» على صراعين خارجي وداخلي، فالصراع الخارجي متعدد الوجوه نجده بين المذاهب الإسلامية كالحنفية والشافعية في نيسابور وأصفهان، وبين الحنابلة والشيعة في بغداد، كما نجده بين السنّة ممثلين بالخليفة العباسي في بغداد أو السلطان السلجوقي وبين الفرقة الباطنية وعلى رأسها حسن الصبّاح، ونجده أيضا بين السلطان السلجوقي ملكشاه مدفوعا من زوجته تركان خاتون وبين وزيره الذي رباه نظام الملك، بل وبين أبناء ملكشاه أنفسهم بعد وفاة والدهم وتقاتلهم على الملك، وأسوأ الصراعات ما كان بين الصليبيين الذين قادوا حملة لأخذ القدس، وبين المسلمين الذين أضعفتهم الانقسامات وأنهكهم الاقتتال فيما بينهم، مما يدفع القارئ إلى عقد مقارنة مع واقعنا الحالي وهو تشابه ذكره أحمد ولد فال في لقاء له وحصره في ستة أوجه: الغزو الأجنبي، الشقاق السياسي، الباطنية الدينية، الخلاف المذهبي، غياب خليفة مركزي، تسلط العساكر. ويتجلى واضحا هذا الإسقاط على الواقع في مشهد دخول الصليبيين إلى القدس حيث يطابق ما حدث ويحدث الآن في هذه المدينة المقدسة فنقرأ في الرواية «كان صراخ النساء والأطفال الذين لاذوا بالمسجد يملأ المكان مختلطا بأدعية العبّاد.. وحيث كانت الأصوات ترتفع من كل أطراف المدينة، صرخات استغاثة ممزوجة بأصوات المطعونين «ولكن في النهاية توغلت الخيول الصليبية داخل

المسجد فما أشبه اليوم بالبارحة.
أما الصراع الداخلي فقد استغرق القسم الأكبر من الرواية في رحلة بدأت بالشك في جدوى حياته أستاذا مرموقا في المدرسة النظامية يعيش في راحة مادية يجالس الخليفة ووزير السلطان ويؤلف الكتب الرائجة، ولكن كل هذا لم يمنحه السكينة الروحية «إلى متى هذه الحيرة وهذا العناء؟ إلى متى ستظل يدي ممدودة إلى السماء وهي تزداد بعدًا وتمنعا؟»، وبعد حوارات طويلة داخلية استبطن فيها الروائي نفسية الغزالي الذي تقلب فيها من الفلسفة إلى التصوف ليصل إلى مرحلة التصالح مع الذات ووضوح الرؤية، وهي الفترة التي ألف فيها كتابه الأشهر «إحياء علوم الدين». وفي أثناء تتبع حياة الغزالي من طفولته إلى مماته يحرص أحمد فال الدين على الإضاءة على الجوانب الإنسانية من حياة «دانشمند» فهو يتأثر بالحضور النسوي حين يقول مثلا: «لماذا أجدني صلبا أمام كل شيء إلا النساء، حتّى إذا مرّت فتاة ريع قلبي، أو فاح عطر من أردان امرأة كاد فؤادي يطير»، كما كانت له قطة يعطف عليها شعرت بوفاته فخرجت تموء مواء منكرا. إضافة إلى مقاطع كثيرة من الرواية تعرض إلى علاقته بزوجته خلوب التي كانت جارية أهداها له الوزير نظام الملك وولدت له ابنتين.
عوالم الرواية متشعبة مكتوبة بلغة عالية تقمصت روح ذلك العصر تُميّزها عن الكثرة الغالبة من الروايات التي نقرأها، وبعض كلماتها أصبحت غير متداولة في عربيتنا الحالية مثل (الدرّاعة، صكّت الباب، معتجرين، الخدلة، الشيضم، عيبة الملابس، من قُلّة إلى قُلّة)، ولم يثقل الرواية في رأيي سوى الاستفاضة في نقل بعض النصوص مثل النقول عن كتب الباطنية أو فقرات من كتاب «سياست نامه» لنظام الملك. أو المناظرات الطويلة مثل مناظرته مع الشيخ صفي الدين الهمداني أو مناظرته عن قدم العالم وحدوثه مع العالم النصراني متى البغدادي. أو بعض القصص الفرعية المقحمة التي كان يمكن الاستغناء عنها مثل قصة الرجل الميت الذي حين أرادوا تغسيله وجدوه منقبض اليد على ورقة كأنها وصيته.
وهذه الملاحظة لا تقدح في رواية جعلتنا نعيش مع الصوفية في الخانقاه، والعلماء في النظامية، والحكام في قصورهم، والعامة في معايشهم، والحشاشين في جحورهم، والصليبيين في خيامهم. بل وجعلتنا نستذكر بعد أن نتم 630 صفحة من «داشمند» جملة لإيكو أيضا يقول فيها «تسلّق الجبال متعب طبعا، لكنه يجذب لأنه متعب. تلك هي اللذة التي تمنحنا إياها الأعمال الجيدة».

ما نعلم وما لا نعلم

د. حسن مدن

التقسيم الذي يمكن وصفه بالمعرفي، بين ما نعلم وما لا نعلم، عائد إلى الفيلسوف البريطاني برتراند راسل. هو من قال به، وربما ما كان سيقوله لولا أن أحد محاوريه، هو المعلق التلفزيوني ودرو وات، الذي أجرى لقاءاً مصوراً مع راسل، بثّه التلفزيون البريطاني على أربع حلقات في العام 1959، استدرجه لذلك. السؤال الذكي يُمهّد للجواب الذكي، أو هكذا يفترض. ويّسرت لنا الإطلاع على الحوار ترجمة له إلى العربية وضعها جلال العشري، وصدرت عن الهيئة المصرية العامة للكتاب في مصر عام 1979، بعنوان "محاورات برتراند راسل".
في بداية الحوار سأل ودرو وات راسل عن الفرق بين العلم والفلسفة من وجهة نظره، فكان ردّ راسل: «نستطيع أن نقول بوجه عام إن العلم هو ما نعلم. أما الفلسفة فهي ما لا نعلم"، قبل أن يضيف: «هذا تعريف بسيط من شانه أن يجعل التساؤلات تظلّ قائمة باستمرار، باعتبارها معرفة متقدّمة تمرّ من الفلسفة إلى العلم".
ينبني على هذا التعريف استنتاج، حمل المحاور على أن يسأل راسل عنه، حين خاطبه بالقول: «يترتب على هذا أنه ما أن يتمّ اكتشاف شيء واستقراره، حتى يكف أن يكون فلسفة ليصبح علماً؟". وافقه راسل على ذلك، بالقول: "نعم، وكل أنواع التساؤلات التي اعتدنا تعريفها بالفلسفة، لن تبقى طويلاً تحت طائلة هذا التعريف."
«إذن ما جدوى الفلسفة؟»، سأل ودرو وات مشككاً، فأتاه ردّ راسل محدداً للفلسفة فائدتين حقيقيتين، الأولى أنها تضمن الحفاظ على التأمل في الأشياء التي لا تزال قابلة لأن تصبح علماً، كون المعرفة العلمية لا تزال تغطي جانباً ضئيلاً من الأشياء التي تهمّ الجنس البشري، والتي ينبغي أن تحظى منه بالاهتمام، أما الفائدة الثانية للفلسفة فهي أنها ترينا بأن ثمّة أشياء نظن أننا نعرفها، فيما نحن لا نعرف عنها شيئاً، ما يجعلنا أكثر تواضعاً في تقييم درجة معرفتنا، فنحن نعرف القليل فقط مما ينبغي معرفته.
تضمنت أطاريح ماركس حول الفيلسوف الألماني لودفيغ فويرباخ، أطروحة تقول بأن الفلاسفة اهتمّوا، حتى يومها، بتفسير العالم، وآن أوان أن يجعلوا المهمة تغييره. برتراند راسل يقرّ بأن ماركس كان فيلسوفاً، ولكنه على خلافه رأى أن مهمة الفيلسوف ليست تغيير العالم وإنما محاولة فهمه، رافضاً حتى فكرة تفسيره، ومع ذلك لم يقطع في الرأي بأن الفلسفة مجرد خادم للعلم، فحتى لو قامت بمثل هذه المهمة، تظلّ أكبر من ذلك، فهناك من الموضوعات ما لا يدخل في نطاق العلم، مثل كافة الموضوعات المتعلقة بالقيم. العلم لا يقول لك ما هو الخير وما هو الشر.. الفلسفة هي من يفعل ذلك.

الكتابة بحبر أسود لحسن مدن

كتـــاب أشبـــه بمكتبـــة

حميد الملا

الكلمات والجُمل بالحبر الأسود توالت في سطور متتالية على صفحات بيض، نابضةً حيّة، ينبوع متدفق من المعلومات. هذا ما لحظته واستخلصته من كتاب حسن مدن (الكتابة بحبرٍ أسود) الصادر عن دار مسعى للنشر والتوزيع في طبعتين، الأولى في عام ٢٠١٥، والثانية، وهي مزيدة، في عام ٢٠١٦. شدّني الكتاب لأعيد قراءته من جديد لما له من أهمية وفائدة جمّة للقرّاء والكّتاب على حدٍّ سواء وما أعادني لقراءته مرةً أخرى هو كتاب انتهيت من قراءته للتو لآذر نفيسي (ذلك العالم الآخر.. نابكوف ولُغز المنفى).

في الكتاب موضوعات عديدة تحفّزك على قراءتها بفضولٍ وبشغف، نجح الكاتب في تبويب محتويات الكتاب، حيثُ قسّمها بحرفية فائقة، الأول عن الكتابة والثاني عن الكاتب والثالث عن الكتب والرابع عن القراءة.

بأسلوب شائق، غير اعتيادي، وبدقته المثيرة للإعجاب يقدّم لنا مدن مجموعةً من الأفكار بدءاً بكيفية الكتابة، أي كيف نكتب الجملة الأولى وانتهاءً بكيف نقرأ وماذا نقرأ ليبحر بنا لشطآن كتّاب ومفكرين وشعراء عظام مثل عبد الرحمن منيف، ناظم حكمت، بوشكين، المتنبي، المعري، بابلو نيرودا، بلزاك، جي ميلر، رسول حمزاتوف، فرانز فانون، غابرييل ماركيز، تشيخوف، غوركي، غوغول، إيزابيل الليندي، سلامة موسى، ديستويفسكي، تولستوي، ميلان كونديرا، آرثر رامبو، جوزيه ساراماغو، هيرتا مولر، رضوى عاشور، فيكتور هيغو، تشارلز ديكنز، بول سارتر، ريجيس دوبريه، وليام فوكنر، برنارد شو، مو يان، نزار قباني، كافكا، مارت روبير، فردريك نيتشه، باسترناك، سولجنستين، توماس مور، شكسبير، دانتي، فرجينيا وولف، أناننييس ين، ألبرتو مانغويل، أوسكار وايلد، أندريه جيد، بروست، أمبرتو إيكو، ألبرتو مورافيا، فاتسلاف هافل، دانيال بنك، إدواردو غاليانو، جورج لوكاش، آرنست همنغواي، هنري ميللر، باولو كويلو، جورج أورويل، بورخيس، محمود درويش، غالب طعمة فرمان، نجيب محفوظ، إحسان عبد القدوس، حنا مينه، طارق علي، لطفيّة الدليمي، إلياس خوري، جابر عصفور، أبي حيّان التوحيدي.. والقائمة تطول وتطول من روائيين وشعراء ومفكرين وعلماء لا حصر لهم.

نـحن إذن أمام كتاب أشبه بمكتبة وليس كتاباً، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار كلّ هذا العدد الهائل من الكتّاب والمبدعين الذين التقى بهم ونقل عنهم حسن مدن وأخذ منهم كل قول مفيدٍ كما يقال، حيث وظّف الكاتب هؤلاء الكتاب ليعرضوا آراءهم لنا بشكل سلس في مختلف المجالات المتعلقة بالكتابة الأدبية وطقوسها المختلفة، فليس من المستغرب أن من يقرأ لهؤلاء الكتاب والمفكرين لابد وأن يكون موسوعي الثقافة مثل حسن مدن، الذي جمع كلّ هؤلاء الكتاب والمفكرين والفنانين في كتاب؛ حياتهم، أحوالهم، أقوالهم، طرائفهم، نتاجاتهم الفكرية والأدبية والفنية، كيفية كتابتهم لكتبهم والباعث والمحفز للكتابة وطبيعتها ومتى يكتبون وبأي

طريقة ...الخ

كثير من الأسئلة طُرحت في هذا الكتاب مثل: من هو الكاتب؟ ولمن يكتب الكاتب؟ ومتى يتوقف الكاتب عن الكتابة؟ يجيب مدن على هذه الأسئلة جميعاً من خلال قراءاته الموسوعية التي أسعفته في بيان حلّ كل تلك الألغاز في الكتابة وفهم طبيعة الكاتب ومقدرته على الكتابة بمختلف الأساليب لتوصيل ما يجول بخاطره لقراءه ليقول: «روح الكتابة هي روح الكاتب في اعترافاته وتدفقاته التي تنساب أمامنا ونحن نطالع نصّه» وهنا يستشهد بفلاسفة وكتّاب حول هذه المسائل مثّل الفيلسوف الألماني نيتشه.

«أصعب ما في أمر الكتابة هو وضعُ الجملة الأولى» كما يقول مدن، وهو الكاتب المخضرم من الطبيعي أن يعرف دهاليز الكتابة وأبواب ونوافذ الدخول إلى «الجملة الأولى، التّوطئة، الإشارة الأولى التي ينطلق بعدها السياق»، على حدّ تعبيره، ثمّ يعرج الكاتب على الباعث من الكتابة من خلال شهادات لكتّاب مرموقين أدلى كلّ منهم في مجاله بشهاداتهم عن مصادر الكتابة الإبداعية لديهم كجراهام جرين وخورخي أمادو، نيرمان ميللر، غابرييل ماركيز، أرسكين كالدويل.

نالت إيزابيل الليندي حيّزاً كبيراً في هذا الكتاب من خلال استشهاد الكاتب بها في كيفية عملها الدؤوب والمضني في الكتابة يومياً ولساعات طوال، حتى تتمكن من تشييد كتل البناء السردي، وهي التي أنجزت العديد من الروايات.

يبحر بنا الكاتب إلى أنواع الكتابة، كالكتابة للشفاء، حيث يرسم لنا لوحة عن هذه الخاصية من خلال كتّاب انعزلوا أو اختارو العزلة للكتابة وأعطى أمثلة على ذلك، مارغريت دوراس، للألم ايضاً صلة كما يقول ويستشهد بجان بول سارتر الذي يقول «إنّ الانفعالات تعتمل في الجسد فتحدث به ما يفعله السحر».

كما أن الكتابة كانت ملجأ لمقاومة المرض، وأعطانا مدن أمثلة على ذلك، شاعرين مهمين، ممدوح عدوان وأمل دنقل ويضيف اليهما بدر شاكر السياب أثناء محنته مع المرض، كما أن نوبات الصرع التي ابتلى بها دوستويفسكي كانت سبباً في مخصّبات الخيال الروائي والإبداعي لديه.

للنساء حضّهنّ في هذا الكتاب الماتع من خلال تسليط الضوء على كيفية الكتابة لدى المرأة من حيث اللغة الخاصة بهن فيقول «في الإجمال فإنّ الكتابة فعل إنسانيّ غير محصور في جنس مَن يكتب، رجلاً كان أو امرأة، وإنّما يرتبط بقيمة الإبداع الفنّية، لكن هذا لا ينفي الخصوصية المرتبطة بانعكاسات جنس الكاتب وآثار الاختلافات السّيكولوجية والظّروف الاجتماعية على عملية الكتابة.

حسن مدن في هذا الكتاب وغيره يقدّم أسلوبه الخاص في الكتابة، وهو أسلوب فريد في بنائه الفني من الصور، وبما يتميز به من إنسيابية وموسيقية صياغاته المختلفة، فاللغة التي يصيغ بها كتاباته ليست مجرّد أداة تعبير، بل شيء محسوس مادي بالطريقة التي تصل للقارئ بسهولة ودقّة.

أنصح من يودّ أن يتعرف على الكتب والكتّاب ليؤسس مكتبة جديدة أن يقرأ هذا الكتاب ليتعرف على كتاب كبار كان لهم دور ريادي في إتحاف البشرية بالعلم والمعرفة والأخذ بيدها نحو التقدم والتطور والنماء.

كتاب جميل يستحق الكتابة عنه أكثر من مقال لما له من قيمة أدبية عظيمة.

في الفرق بين الغزو والهجرة

فائزة مصطفى

في أزمنة الحروب تكثر الهجرات نحو أصقاع الدنيا، يغادر المهاجرون أرضهم وأغلب ظنّهم أنها أيام قليلة ويعودون إلى الديار، لكن الأيام تمتد إلى شهور والشهور إلى سنوات وبعضهم إلى طول العمر، وفي البلاد التي يهاجرون إليها يشعرون بالوحشة بادئ الأمر والعزلة، ثم تتكاثر بيوتهم وتتجمع في عزلتها لتشكل أحياءً منهم تذوب بمرور السنوات في المجتمعات المحلية فتختلط العادات واللهجات والسحنات والأعراق.

خلافاً لكل الهجرات الأخرى فإن الهجرة في أزمنة الحروب هي هجرة القلب، هجرة جوهر الإنسان لأنها تأتيه على غفلة، تدفعه إليها مشاعر الخوف المروعة وغريزة البقاء، والتوق للأمان الذي يجده في بلاد المهجر حتى لو صاحبه رفض أو تحيّز ضده من المجتمعات المحلية، إلا أنه أمان له طعم غالي وخاصّ، حصل عليه بعد خوف هائل ورعب حقيقي على حياته وحياة أحبائه ومصيرهم.

هجرة أزمنة الحروب هي أكثر الهجرات تغييراً للمجتمعات المهاجرة والمحلية لأنها، وعلى الرغم من أنها تأتي قسراً خلافا لبقية الهجرات كطلب العلم والعمل، تحرك في الإنسان الحاجة لمحاكاة المجتمع الجديد والبيئة من حوله بشكل أسرع ليتمكن من العيش وتدبر أمره، وهذه الحاجة نفسها هي ما تجعله يؤثر في المجتمع المحلي ويضيف إليه من عاداته لأن الغالبية العظمى من مهاجري أزمنة الحرب يبدأون بالأعمال الهامشية التي تحتاج لمهارة الإنسان الأولية الجسدية والتجربة الحياتية اليومية في الأسواق والشوارع، فينقل للمجتمع الجديد حركته وطريقته في التفكير وتسميات الأشياء، وهكذا يكتسب الإثنان صفات من بعضهما، وتطول السنوات فيذوبان ويختلطان ببعضهما البعض.

أفكر في هذا كلما تعمقت في دراستي للغة الإيطالية، وزادت معرفتي بالمجتمع الإيطالي، يوماً بعد يوم، وملاحظتي للشبه الكبير جداً بين الإيطاليين وشعوب المجتمعات اللاتينية، الذي يفوق بكثير الشبه بين الإسبان واللاتينين، حيث غزا الأولون أمريكا اللاتينية ونقلوا إليها دينهم ولغتهم. فيما مرّت بإيطاليا الحديثة حروب عدة ودكتاتوريات مريعة دفعت إيطاليين كثر للهجرة إلى أمريكا اللاتينية، جاءوها فارين من الحرب وطالبي أمان، فانصهروا في المجتمعات المحلية بسلاسة وسلام ومنفعة متبادلة، فحدث لهم تغيّر جوهري في الروح والتفكير، وأحدثوا مثله في المجتمعات اللاتينية، على تلك البلدان وإطلاعاتهم السياسية الواسعة.

نخلص من هذا إلى أن هجرة الإيطاليين الفارين من الحرب والدكتاتورية الى أمريكا اللاتينية أحدثت ثراءاً إنسانياً فنياً وأدبياً وروحياً، تفوق تأثير المستعمر الإسباني لبلدان القارة وإستيطانه فيها، واليوم والعالم يتاجر بالحروب ويستثمر في الدكتاتوريات ويعادي المهاجرين عليه أن يتذكر أن الهجرة هي جوهر الحياة.

وعن المشقّة النفسية والجسدية التي يلاقيها المهاجرون أترجم مقطعاً من قصيدة للشاعر الفنزويلي فيسنتي جرباسي كتبها تكريماً لذكرى والده المهاجر الإيطالي من جحيم الحرب طالباً للأمان في أراض بعيدة: «شبابك نادى مدن العالم/ الرِّياح التي تعصف في وجه الشواطئ القديمة/ الناس الذين يعيشون في المناجم المعتمة/ البحارة الراقدين أسفل المعابر البحرية/ أنت المسافر، المؤرق، التعس/ من يرفع الأيادي تجاه البرق/ من شاهد الخلجان تمر؛/ كشاطئ حزين هادئ وضبابي/ تعرف كيف تحتمل البعد، دائماً من القلب/ تعرف كيف تصل إلى هناك/ وأنت هناك، المجهول، الأسود/ ملقيّاً في حرّ الليالي/ مثل الحقائب، مثل البراميل/ في حافة السفن العظيمة».

وهذه قصيدة أخرى أترجمها للشاعر الإسباني ألبيرتو كروز كتبها أيضاً في ذكرى جده الذي هاجر من إسبانيا الى أمريكا الجنوبية بحثاً عن مستقبل أفضل: «الجدّ في يوم ما/ شاباً صغيراً كان/ هناك في مدينته غاليسيا/ تطلّع إلى الأفق/ وفكّر ربما يوجد طريق آخر/ وإلى الرياح الشمالية/ صديقته القديمة/ أخبر نسماتها بأفكاره/ عرض عليها أياديه الطيبة القويّة/ كانت فارغة/ الرياح أجابته:/ »أنا حياتك خلف البحار يا ليندي غاليسيا»/ الجدّ في يوم ما/ في سفينة قديمة/ غادر إسبانيا/ مثل العَديدين سواه/ بكثير من الأمل/ والصورة العزيزة/ لقريته العتيقّة/ بجبالها/ حملها منقوشةً في أعماق الروح/ عندما حمله القارب القديم/ بعيداً عن إسبانيا».

مهاجرون إيطاليون إلى أمريكا الجنوبية

ماردونا على مبنى في نابولي

عكس الإسبان الذين وصلوا إلى القارة الجنوبية بغطرسة الفاتح الغازي، الذي فرض على من غزاهم لغته ودينه وطريقته في اللبس والسكن، وقدّمهم للعالم بالصورة التي تلائمه، مجبراً إياهم على أن يتعاملوا مع العالم على أساسها.

الشبه بين المجتمع الإيطالي والمجتمعات اللاتينية روحي؛ يتشابهون في تعاملهم مع الدين وإيمانهم بالقديسين والمعجزات والأساطير، إبتداع أعياد دينية كرنفالية من تواريخ ميلاد ووفاة هؤلاء القديسين والقديسات وجعلها مناسبة لإبتكار أطعمة جديدة ورقصات وأزياء، وإستثمار الشباب لهذه الأعياد كمواسم للتجارة وصناعة العلامات التجارية، ويجمع بين الروحين أيضاً الميل للإستمتاع بالحياة وصناعة الفرح؛ فمواسم حصاد الزيتون في إيطاليا عيد وصناعة النبيذ في كل مراحلها موعد مع الطقوس وإجتماع إحتفالي للمزارعين والعاملين.

وتتشابه الروح الإيطالية مع الروح اللاتينية في الحميمية الفوضوية في الشوارع، خاصة كلما تعمقنا في الجنوب الإيطالي كالحديث بصوت مرتفع، والتسكع الطويل في المقاهي، ومغازلة النساء والجلوس على عتبات البيوت وزوايا الحارات، والوقوف على الشرفات لتبادل التحايا والأخبار بين الجيران، وترك الملابس لتجف على الحبل في فيّها، وتدلي السلال من الشرفات لتوضع فيها الأغراض، كما تشترك الروحان الإيطالية واللاتينية في تقديس العائلة الممتدة، والمشاريع الجماعية التي تحمل كنية الجد، فالناظر للإقتصاد الإيطالي يلاحظ أنه يعتمد على المشاريع التجارية العائلية وليس على الشركات الخاصة أو الحكومية، فأشهر المنتجات الإيطالية هي ماركات تحمل اسم أو كنية عائلة.

يظهر أثر المهاجرين الإيطاليين في طريقة نطق سكان أربع دول كبرى للغة الإسبانية هي الإرجنتين، الأروغواي، البراغواي، تشيلي، وفي طريقة نطقهم، حيث أضافوا إلى الإسبانية في تلك الدول اللحن الصوتي الذي تميزت به الإيطالية، واختلطت ضمائر اللغة الإسبانية فيها بضمائر اللغة الإيطالية، وشاعت التسميات الإيطالية العامية في حياتهم اليومية، وحتى في عادات الطعام أصبح الفطور الإيطالي المتكوّن من المخبوزات الحلوة والقهوة هو الفطور الشعبي في تلك البلدان، كما إختلطت الموسيقى التي هاجرت مع الإيطالين لأمريكا اللاتينية مع الموسيقى المحلية لتولد أشهر أنواع الموسيقى ورقصات التانغو والسالسا.

وجه شبه مهمّ آخر بين الروحين يتمثل في الميل لليسار والاهتمام بقضايا المهمشين والمظلومين في أنحاء العالم، والنضال من أجل العدالة، ما يفسر الثقافة الغنية لشعوب

عباس مزعل يكتب سيرة الدكتور عبدعلي حبيل

ضـــــوء مـــــن ستـــــرة

«ضوء من سترة» .. اختيار موفق لكلمة «ضوء»، كعنوان يليق بشخصية بارزة في المجتمع ، ففي كل منطقة بحرينية هناك أضواء عدّة تنوّر المنطقة وأجيالها، والدكتور عبدعلي حبيل ضوء من أضواء أنارت جزيرة سترة، فما أن تُذكر سيرته حتى يبتسم الحاضرون حبّاً له وتقديراً لأثره وبصماته. العثرة الصعبة التي واجهت مؤلف الكتاب عباس مزعل أثناء جلساته مع الدكتور حبيل لتوثيق سيرته هي ذاكرته الضعيفة، نتيجة إصابته بجلطة دماغية أثرت على مركز الذاكرة، لكن بالجِدّ والجُهد من الدكتور والكاتب وأبنائه أثمر ذلك مادةً تستحق الثناء.

نور حميد

بدأ الكتاب بتعريفٍ موجز بتاريخ المنطقة، وأصل مسميات قرى جزر سترة، معرجاً على ما فيها من زراعة وبساتين، ومهنة الصيد وفنونه عند أهلها المعروفين بعلاقتهم بالبحر، وعن ذلك قال: «لا تكاد تغيب عن البحر في صبحك ومسائك في قريتي، ولا يخلو بيتٌ من بحّار».

ومن النخلة والبستان إلى عمق الجذور، جذور آل حبيل، وعودة إلى شجرة العائلة بالجدّ المؤسس الشيخ محمد حبيل، ومسقط رأس العائلة «مهزة» والتي سميّت لشهرتها بنخيل «المهز»، وعينها التي يتموج ماؤها ليحدث اهتزازًا طبيعيًا خلابًا، واختار الكبار قرية «سفالة» موطنًا جديدًا للعائلة، وهي عادة قديمة أن يستوطن الرجل بلد زوجته لاستقرار نفسه واطمئنانها، ولم تكن «سفالة» بعيدة عن «مهزة»، فامتلك الجدّ أرضًا واسعة وبنى بيتًا ليضمّ أسرته، وأصبح البيت لاحقًا مقصد علّية القوم من زوّاره.

وُلد محمد حبيل، والد الدكتور عبدعلي، في سنوات الحرب العالمية الأولى، فترة مزعجة عاشتها البحرين كما الدول جميعها، تصل الأخبار إلى الجزيرة، بعضها حقيقة والأخرى كاذبة، والأخيرة هي الأكثر والأوسع انتشارًا، كما انخفضت التجارة وتأثر الاقتصاد بسبب الحرب. الخير على السيف في قرى سترة، وألف أهلها البحر، بل كأنّ أهل الجزيرة خلقوا للبحر وخيره، فكانت هذه مهنة الحاج محمد التي ورثها من أخواله والقرية المباركة، فأصبح بحارًا ستراويًا.

رفيقة درب الدكتور وابنة عمه زليخة بنت إبراهيم لا تفارقه لتنعش ذاكرته للحديث عن الحكايات والأحداث الغائبة عن الذاكرة، وتذكر الابنة رحاب دعاء جدتها: «يا الله ب 17 حجة»، وتقوله حين تشتد مشاغبتهم في فترة سنواتهم الصعبة وهي أيام دراسة الأب، الجدة هاشمية التي يتجسد الحنان معنى لها، فجاء موتها حزنًا وفراقها ألماً.

وُلِدَ الدكتور في (برستج) بمنطقة «التوابع» في القرية، تعلّم الخط من الخِبرة الحبيلية، ومن أبيه على وجه الخصوص، الذي كان معلّمه الأول ثم المعلمة سعدى بنت رضي في مهزة، ثم فاطمة بنت عبدالله في قرية سفالة، قبل أن يلتحق بمدرسة سترة الإبتدائية في سنّ العاشرة. أنهى الدراسة بتفوّق، ثم انتقل إلى المدرسة الغربية بالمنامة في النصف الأول من خمسينيات القرن الماضي، أي قبل إنشاء جسر سترة، فكان السكن الداخلي هو «الجنّة» للمجتهد الفقير ابن القرية الذي لم ير سوى البحر والشقاء في سنينه الماضية، السكن الواقع في المنامة كان، يومها، أكبر بيت من نوعه في الخليج، وعاصر الدكتور ما شهده عقد الخمسينيات من تحرك شعبي ضد القوات البريطانية، ونقاط التفتيش التي كانت مصيبة فوق مصيبة سائقهم المتهور، مشيراً إلى ما واجهه هو وزملاءه من نظرة مجتمعهم القروي الذي كان يحثّهم على ترك مقاعد الدراسة والعودة للعمل في الزراعة.

عاد إلى ملاذه العلمي الأول بعد تخرجه، إذ عيّن مدرّسًا في مدرسة سترة الابتدائية، فساهم في تطوّر تعليم أبناء الجزيرة، حتى قرر أبيه تزويجه في بداية الستينيات من ابنة عمه زليخة، وبعدها أكمل مسيرته المهنية والتعليمية وإثراء الطلبة والسؤال عن أحوالهم وتحصيلهم الدراسي.

بدأ مرحلة دراسية أخرى في فترة الطفرة التعليمية للبحرين، فبعد الثانوية وإنجابه لأحمد وسلوى، انتسب إلى جامعة بيروت العربية لإتمام تعليمه الجامعي، فرأى لبنان بلد الغرائب والانفتاح دون تعصب، وهي الخصلة التي عاد بها من هناك الى البحرين: نبذ التعصب.

تعيّن بعد تخرجه معلماً في مدرسة مدينة عيسى ثم مديرًا مساعدًا في جزيرة «أُكُل» التي سميت بالنبيه صالح، والتي تبعد حوالي ربع ساعة عن سترة، وهنا الكثير من القصص والحوادث التي حصلت في المدرسة مثل قصة أم عمار حافية القدمين وابنها المتسرب، وقصة ختان أحد ابناء المدرسين والوليمة في المقام الصالح.

دَرَس بعدها عند الشيخ محمد صالح العريبي ولازمهُ ليتجاوز خشونته، ثم عند الشيخ حسين الجزيري لإكمال الشرائع في حوزته في مسجد آل حبيل، وشارك الشيخ منصور الستري في بعث التراث الفقهي ونشره. كانوا يحفرون بمعاول الوقت للحصول على المعلومات ونشر العلم.

ثم انتقل إلى المحروسة مصر، لدراسة الماجستير في القاهرة، فترة فارق فيها أبنائه وزوجته أم احمد التي تحملت عبئًا ثقيلًا في التربية، ويروي كيف تعرضت الشقة التي سكن فيها مع أربعة من أصدقائه للسرقة، أيام جميلة ختمها بنيل الماجستير، وعاد إلى أولاده ليعوضهم ما فات.

تأخر عن استكمال الدراسة لنيل الدكتوراه بسبب مرض ابنه عادل حيث كان يمشي في طريق العمى، فما كان أمام حبيل إلا أن يكافح من أجل شفائه، مروراً بأيام صعبة لكنها انتهت بفرح.

نال درجة الدكتوراه في عام 1991 بتقدير إمتياز، وكانت فترة دراسته في القاهرة هي فترة دراسة إبنته رقية في البكالاريوس، حيث تزامل الإثنان، الأب وابنته، في الدراسة بالقاهرة.

انطلق حبيل في مشوار آخر في سوق العمل، وشارك في عدّة مؤتمرات في عدد من الدول العربية والأجنبية، متوجاً مسيرته العلمية والمهنية التي اتسمت بالتفوّق المتميز، وبتأليف عدد من الكتب منها ما نشر، ومنها ما لم ينشر بعد، ولعلّ أبرز بصمات حبيل يحكيها أهل سترة وخاصة عائلة حبيل العريقة هي نشأة مؤسسة آل حبيل للأعمال الخيرية، للاهتمام بشؤون العائلة، التي خاض معارك من أجل تأسيسها، حتى تمّ نشرها في الجريدة الرسمية إشهارها في 2009.

يبدأ فصل جديد من حياة الدكتور عبدعلي، تمثّل في مجاهدته للمرض الملازم للتقاعد عن العمل والنشاط الاجتماعي وممارسة الهوايات، فكانت البداية جلطة قلبية في نهاية التسعينات، ثم ورم في الكلية اليمنى في 2018، فالجلطة الدماغية التي يعاني من أثرها حتى اليوم وخاصة في مركز الذاكرة التي تُلِف منها الكثير من الذكريات وبقي القديم منها.

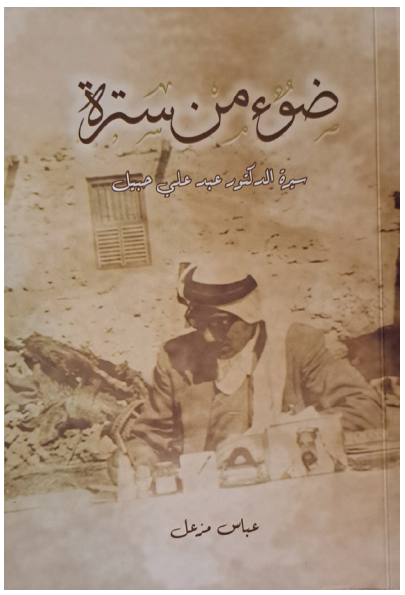

حميد الملا في استرجاع الصورة

النصّ الـذي تسكنـه الأمكنـة وتتنفسـه الأزمنـة

منار السمّاك

الكتابة لدى حميد الملا تتجاوز كونها وسيلةً لتوثيق الذات أو استعراض الماضي بل تشكل فعلًا تأمليًا في جوهر الكينونة في كتابه استرجاع الصورة لا يستحضر الكاتب ماضيه فحسب بل يعيد تشكيله عبر عدسة وجدانية وفكرية تُبرز عمق الصلة بين الفرد والتاريخ بين الذات والجماعة إنها كتابة تنبني على ذاكرة لا تستسلم للحنين الساذج بل تنفتح على أسئلة الوجود والمعنى والهوية.

الزمان كوجدان متجدد

فالزمن في سرد الملا ليس خطًا مستقيمًا بل نسيجًا حيًا تنبض فيه الذكريات والانفعالات لا يعتمد التسلسل الزمني التقليدي بل يقفز بين اللحظات وفقًا لثقلها العاطفي والفكري ما يجعل الزمن أداة للغوص في الذات المقارنة بين زمن الفكر الحر وزمن التراجع الطائفي تكشف عن قلق وجودي من انطفاء العقلانية في عصر التشرذم.

المكان بوصفه كائنًا حيًا

الأمكنة في نصوصه ليست حوامل صامتة للأحداث بل تحضر بروحها ورمزيتها الزقاق البيت المدرسة كلها كيانات تتنفس وتتكلم تعكس مزاج الكاتب وتكوينه الروحي هذا الحضور المكثف للمكان يمنحه دورًا مماثلًا للشخصيات فهو شاهد وفاعل في الآن ذاته.

الارتباط بالمكان والزمان في الطفولة

مرحلة الطفولة ليست مجرد مرحلة زمنية بل بؤرة تشكل ومرآة للهوية الطفولة تُستحضر بوصفها فردوسًا مفقودًا ولكنها أيضًا منبعًا دائمًا للمعنى حيث تتكون أولى صور العالم والذات والعلاقة مع الآخر.

الشخصيات المؤثرة بين الذات والآخر

الأم كنواة روحية

في وصفه للأم بـقديسة القديسات نجد تجسيدًا لعمق التأثير الروحي والعاطفي لهذه الشخصية في حياته إنها ليست فقط أمًا بيولوجية بل مرآة للقيم والمبادئ التي نشأ عليها وهي تمثل أيضًا الأنثى الحكيمة الحاضنة الحافظة لسر الحياة.

شخصيات المجتمع المحلي

العم محمود وغيره من رموز الطفولة يجسدون القيم الإنسانية الأصيلة الكرم الصدق البساطة الحكمة الشعبية هؤلاء يشكلون ما يمكن تسميته بـذاكرة المجتمع ويظهرون كمعادل شعبي للفلاسفة والمفكرين الذين ألهموه لاحقًا.

شخصيات ثقافية وفكرية

الملا لا يقدم قراءة كلاسيكية للمفكرين بل يدمجهم في نسيجه السردي يستلهم من الجاحظ ويفكر من خلال ابن رشد ويتفاعل مع الجابري هذه الشخصيات الفكرية تشكل امتدادًا لوعيه وجزءًا من الذات المفكرة التي تسعى إلى عقلنة التجربة.

الحدث والوعي والتاريخ بوصفه مرآة فكرية

الأحداث التاريخية كمحرك ثقافي

النهضة الإسلامية على سبيل المثال تُستحضر لا كحدث ماض بل كأفق مفقود يجب استعادته، فالملا لا يُؤرخ بل يُفكك مَن خلال الحدث ويجعله منطلقًا للتساؤل حول مصير الفكر في الحضارة الإسلامية.

التحولات السياسية والاجتماعية

الكتابة تتحول إلى نقد اجتماعي عميق يرصد صعود الطائفية وتدهور القيم المشتركة الملا يقرأ في تحولات المجتمع مرآةً للتحولات الفكرية حيث يتلاشى الوعي الجمعي لصالح العصبيات.

انعكاسات الثورة الإيرانية

الثورة الإيرانية تمثل في نصه لحظة مفصلية لا باعتبارها واقعة سياسية فقط بل كتحول في تمثل الدين والمجتمع يقرأها من زاوية ثقافية كيف حولت الدين من منبع للمعنى إلى أداة للهيمنة.

الصراع الفكري و بين النور والعتمة

صراع العقل والطائفية

في كتاباته نقد مر للواقع الثقافي حيث تُستبدل العقلانية بالخرافة والتعددية بالإقصاء الصراع بين العقل والطائفة ليس مجرد خلاف فكري بل معركة على صورة الإنسان والمجتمع.

التكنولوجيا كأداة للتضليل

يرى الملا في وسائل التواصل سلاحًا ذا حدّين لكنها في الواقع العربي تميل لأن تكون أداة لتكريس الجهل لا لتحرير الوعي لإنترنت عنده ليس فضاءً مفتوحًا بل مستنقع من الصور المشوشة والحقائق المضللة.

الذاكرة والهوية و الذات في مرآة الجماعة

تداخل الذاكرة الفردية والجمعية

نصوصه تتجاوز البوح الفردي لتشكيل صورة جمعية فالذكريات تُروى بضمير الكل والأماكن تعبّر عن مجتمع بأكمله إنه استدعاء لذاكرة جماعية تُنقذ من النسيان وتؤرخ للهامشي واليومي.

الهوية الثقافية والدينية

الملا يدافع عن هوية دينية متصالحة مع الفكر عقلانية في جوهرها مفتوحة على الآخر رافضة للانغلاق لا يذوب في التراث لكنه يُحاور عناصره بشجاعة وصدق.

العائلة كمرتكز وجودي

العائلة لا سيما الأم تظل الحاضن الروحي حتى حين تتلاشى من الحياة تظل حاضرة كقيمة كصوت داخلي كضمير البيت والعائلة يشكلان مسرح الذاكرة حيث تتكوّن أولى الصور والمفاهيم.

الكتابة كفعل وجودي وأداة للمعرفة والشفاء

الكتابة عند الملا ليست هواية ولا مهنة بل ضرورة وجودية كل كلمة تحمل أثر جرح أو شفاء كل فقرة هي محاولة لفهم الذات والعالم إنها تمثّل تطهيرًا داخليًا ومقاومة رمزية للانكسار.

الكتاب ليس سردًا للصور بل إعادة خلق لها؛ استرجاع لا يُقصد به الحنين بل الفهم وإعادة تشكيل الواقع الداخلي والخارجي المشروع الكتابي عند الملا هو مشروع وعي مشروع تحوّل.

أخيرا الكتابة في قلب الحياة

في قلب الكتابة والحياة التي قدمها حميد الملا تجد نفسك كأنك تتنقل بين عوالم تقترب من الحلم وتبتعد عن الواقع بين بحر من المعاني العميقة وأفق يحده الغياب والحضورهي كتابة تشبه مرآة قلبية تعكس مًا وراء الكلمات حيث تصبح الجدران المتآكلة أنفاسًا تحمل ذكريات وتصبح الرياح أصداءً لأرواح مرت ثم اختفت و في لحظة الكتابة تصحو من سباتها وهو لا يسرد الزمان والمكان كما هما بل يعيد خلقهما في قلبه كأنه يقف أمام بئر عميقة لا تملأها إلا الأسئلة والتأملات في هذه الكتابة كل شيء يتنفس الظل يتحدث والريح تهمس بالأسماء والبحر ليس مجرد عنصر طبيعي بل هو بحر الذاكرة والروح الكتابة بالنسبة له ليست مجرد توثيق بل هي نوع من المرايا التي تعكس التداخل العميق بين الفرد والجماعة بين الفكر والتاريخ وبين النسيان الذي يرفض أن يكون كما في الأسطورة يلتقي الماضي بالحاضر في رقصة صوفية تذوب فيها الحدود وتصبح الكتابة فعلًا مقاومًا ضد تسطيح الذاكرة وضد هجران الأزمان إنها ليست مجرد كتابة عن قريته عن عالمه الذي عاشه الأماكن الاحداث والشخوص فقط بل انه كذلك عن البحر الذي يلاطف الأرض عن الريح التي تتنقل بين قلوب البشر وعن الظل الذي يروي قصص الأجداد هو إذن في هذا الفعل الكتابي يخلق مجالًا بين الحضور والغياب حيث لا يتم حفظ الماضي بل يُستعاد إحياؤه في قلب الحياة ويظل حيًا إلى الأبد.

«بلدة الأقمار» للأديبة جميلة الوطني.. وأزمة المُختلِف بين مُتشابهين

هل انهمرَ الإلهام موحيًا بتلك القصَّة لأجل الأطفال منذ انطلاق شرارة إبداعها الأولى؟ أم أن اللحظة اجتاحت عقل المؤلّفة بفكرة عميقة تتجاوز ما يحدث في عالم الصغار لتفتح بابًا نحو مرآة سحريَّة في عقولهم تنعكس عليها تلميحات رمزيَّة لما قد يُصادفه المُتميزون النادرون منهم غدًا في عالم الكِبار إن كان قدرهُ أن يحيا بشيء من التميُّز؟ تتساءل دهشة القارئ الذي تقرأ القصة سطورًا غير مرئيَّة من حكاية روحه، فيكتشف أنَّ الإهداء الموجَّه على الصفحة الأولى "إلى الأرواح التي لا تُشبهُ إلا نفسَها" كان يعرف ما يُريد؛ ومن يُريد.

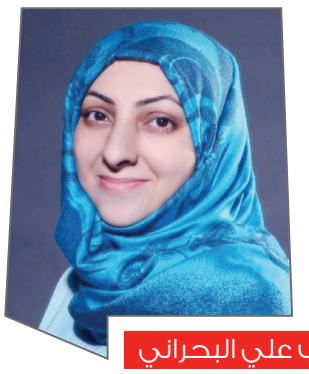

زينب علي البحراني

النصوص الأدبيَّة هي الأخرى كالبشر؛ بعضها أفقيٌّ لا يُرى غير ظاهره، وبعضُها مُتعدد الطبقات والأبعاد؛ يهبُ كُل قارئ شيئًا مما يُخفيه وراء ستار الكلمات، ويسمح لكُل روح بترجمة مَعانيه وفق لُغتها الخاصَّة المُنبثقة عن مشاعرها وخبراتها التراكُميَّة.. و قصة "بلدة الأقمار" للأديبة البحرينيَّة د. جميلة الوطني تنتمي لعالم النّصوص التي مسّها سحر السَّرد بعصاهُ ليكون في وضوحها غموضًا لذيذًا يستمتع العقل الراشِد بسبر أغـواره، وعلى بوَّابة ذاك الغموض وضوحًا وسهولةً تجعل من صعود الطفل على عتبات أسلوبها هينًا ميسورًا.

بادئ ذي بدء من بدايات الحكاية يبدو أننا أمام أحداث محفوفة بالبهجة، تملأ روح الطفل بالحماسة تقود عقلَهُ نحو أفـق من الخيال الواقعي المُحبب لنمط الحياة المُفعم بالسلام وفاهية النفس في بلدة يُحب أهلها بعضًا، يهتمون بالتعليم ولا يُهملونَ العمل ولا يتجاهلون أوقات الترفيه والمـرح، تغرس السطور في ذهن الطفل أفكارًا مُبسطة لا تخطئ الطريق نحو عقله الغض؛ مثل الحث على السير ببطء وهدوء، الذهاب إلى المدارس ثم الجامعة وصولاً إلى هدف العمل والإنتاج مُستقبلاً، التأكيد على قيمة العمل في مهنة مُنتِجة نافعة للمُجتمع مهما كان نوعها، مع إشارة إلى قدرة الإنسان على العمل والعطاء قدر المُستطاع وفق ظروفه وما يواجهه من تحديات، أهميَّة الاهتمام بمشاعر الآخرين وسؤال من تبدو على ملامحه علامات الحزن وبوادر الهموم عمَّا إن كان بحاجة إلى مُساعدة، تعزيز فكرة قضاء أوقات الفراغ في اللقاءات والزيارات الودّية بين الأهل والأصحاب واللعب البنّاء الداعم للعافية الجسدية والنفسية في الحدائق والساحات، ضرورة اللجوء إلى الأكبر سنًا ولا سيما الوالدين عن الوقوع في مشكلة.. إلخ.

من زاوية أُخرى نرى في القصة جانبًا لا يخلو منه العالم الواقعي للكبار؛ إذ تُطل علينا أزمة فلسفيَّة عميقة مُسلطة الضوء من طرف خفي على قضيَّة "اللا مُنتمي" في مُجتمع المُتشابهين، المُعضلة التي عاشتها شخصيَّة "الملك" في مسرحيَّة "نهر الجنون" للمُبدع "توفيق الحكيم" حين شرب الجميع من النهر الذي كان ملوثًا بما أثَّر على عقولهم ما عداه، آلامُ "النبي" التي تحدث عنها "جبران خليل جبران" في آرض الكآبة الصَّمَّاء، ففي "بلدة الأقمار" ذات الوجوه الدائريَّة المُتشابهة التي تحمل أرقامًا لا أسماء بحيث ينادون بعضهم: يا واحـد، يا سبعة، يا أربع عشرة، كان الوحيد المُميز يُعامل كمنبوذ! فهو يحمل اسمًا حقيقيًا يُدعى به «نـادر»، وهـو طفلٌ رشيقٌ طويلٌ سريع النمو، بنيته قويَّة، تصفه أخته بقولها: «يُنجز الأعمال أسرع منَّا، ذكي جدًا، يتكلَّم بكُل فصاحة، يستطيع أداء أعمال لا نستطيع نحن إنجازها... صـ10».

وكما في مُعظم المُجتمعات التي تسودها أكثريَّة بقدرات محدودة؛ يتحول المُتميز بين المُتشابهين إلى مدعاة للسُخرية وهدفًا للعداء، "نادر" الذي "رفضه الجميع في فصله ومدرسته؛ لأنه كان أكثر ذكاء، وأكثر قوَّة، وأكثر سُرعة من الجميع في المشي والجري، بل يختلف عنهم في كُل شيء... صـ 12"، عندها يجد نفسهُ مُضطرًا - للتعايُش مع مُجتمعه بسلام- للهبوط بقدراته تجنبًا لإثارة حفيظتهم، وتبديد ما يتبقى من تلك الطاقة الفريدة على جوانب سد النقص في حياتهم بدلاً عن استثمارها فيما يعود عليه بنفع أعلى!

إن مُعاناة "نادر" تُذكرنا بمُعاناة "النوادر" الذينَ يشبعون قهرًا وغبنًا في مُجتمعات تحتقرهم وتهزأ بقدراتهم لأنها عاجزة عن استيعاب تلك القدرات وفهم معناها، فلا يكون أمامهم إلا خيارين: الفرار من المجتمع بحثًا عن أكسجين التقدير في مجتمع أكثر وعيًا، أو مُحاولة "التعايُش" بإخفاء قدراتهم المُتميّزة عن عامَّة الناس، وتمثيل دور "العاديين" الذين أقصى همومهم الأكل والنوم والثرثرة وربما التظاهر بشيء من البلاهة بين حين وآخر ليتقون شرَّهم! ورحم الله الشاعر أحمد مطَر حين قال: «قال أبي : في أي قطر عربي إن أعلن الذكي عن ذكائه فهو غبي!»

د. جميلة الوطني من القلائل الذين يختارون الانتصار لمبدأ الجرأة في الطرح سواء كان هذا الطرح مُباشرًا أو يهمس همسًا خفيًا ذكيًا لخلايا العقل الباطِن تاركًا لها الخيار، و«بلدة الأقمار» بالصورة المُبهجة لوصف الحياة فيها قدمت صورة المُجتمع التقليدي الأقرب للمثالية الظاهرية، بينما تبحث فيه مُعاناة المُختلفين عن طريقٍ للخلاص.

فـي سطــوة العقــل الجمعــي

بتول حميد

يصف المؤرخ الفرنسي غوستاف لوبون في كتابه «سيكولوجية الجماهير» مدى إنصهار التباينات الفردية داخل الجموع، ليتحول الأفراد إلى كائنات مشحونة بالعواطف، يغلب على سلوكها الاندفاع والجنوح وتفتقر للعقلانية. لكن هل يتلاشى الفرد فعلاً في تشكيل ‹‹العقل الجمعي››؟ أين تنتهي فاعلية الفرد الحيوية وأين ينصهر ويبدأ تأثير الجماعة؟ هذه المساورات التي تناولها لوبون ضمنياً منذ أكثر من قرن، لا تزال عالية الأصداء في عالمنا المعاصر، والذي يشهد تزايداً رهيباً في طغيان تأثير الجماعات على الأفراد.

تؤثر منصات التواصل الاجتماعي، ووسائل الإعلام، والأحداث السياسية الفارقة في تشكيل عقل جمعي له سطوته، قادر على التأثير بسهولة في أنماط سلوك الأفراد، وحتى على قرارتهم الصغيرة .

وباعتبار المجتمع كياناً لا يستمد توصيفه على العناصر المادية –المورفولوجية فقط؛ من أفراد ورقعة جغرافية وثروات مادية؛ فهذه المحددات ليست كافية لتعريف المجتمع ما لم تحوي معها عوامل أخرى كالروابط الثقافية والاجتماعية، المندرجة تحت علاقات وتواصل الأفراد في ما بينهم. إذْ تكرس هذه العوامل على إضافة هامش من الأخلاقيات بين أفراد المجتمع الواحد –أشبه– بعقود ضمنية أو علنية إلزامية ،–. فضلا تشكيل نسق معين لتشييد الشخصية القاعدية أو المنوالية لهؤلاء الأفراد والتي تندرج مع التماثلات الثقافية والسوسيومجالية الموحدة، كما تؤسس بوتيرة تدريجية لعقل جمعي يأطر سلوكيات الأفراد داخل معايير يسنها المجتمع. فإلامَ يحيل مفهوم العقل الجمعي؟ وما هي حدود تأثيره؟

نطلق غالباً مفهوم العقل الجمعي ونحن نتلمس أداء ضبط المجتمع. ويفصل عالم الاجتماع الفرنسي ايميل دوركايم الذي صاغ نظرية «العقل الجمعي»، بين العقل الجماعي كشعور خارج عن إرادة الفرد وأفكاره وبين التصور الفردي الذي لا يهب له دوركايم ثقلاً في افتعال الظواهر الاجتماعية. إذْ أن التصورات الفردية تتكاثف بمسببات كثيرة لتؤول لعقل جمعي خارج عن إرادة الأفراد، ما يشكل صداً وإلزاماً لهم. وبالتالي، فإن العقل الجمعي عبارة عن موقف اجتماعي يعجز فيه الأفراد عن التحليق بأفكارهم وقرارتهم مفترضين أن مواقف الجماعة هي الصائبة والجديرة بالإتباع.

وتتجلى فعالية العقل الجمعي في قدرته على إجبار الأفـراد على تنفيذ آليات الإلـزام والقهر الاجتماعي بوعي أو دون وعي.

وحين نحاول إدراك بنية «العقل الجمعي»؛ سنجده سنجده يتكون من عناصر تبالغ في تقعيد نسيجه، يجذبها التراكم التاريخي للعادات والتقاليد والأعراف الاجتماعية، تضخيم الرواسب الثقافية، المنظومة العقائدية من إيمان ديني وغير ديني، التأثير اللغوي

والحكايات والأمثال الشعبية، الثنائيات حول الموت والحياة والأحـداث والتجارب الحياتية، والنظام السياسي والاقتصادي. وتجدر الإشارة إلى أهمية العامل الديني، والتي ما زالت تلعب دورها الحيوي في تركيبة العقل الجمعي – باعتبار الدين أساسا للمنظومة الأخلاقية–.

وتتباين سطوة العقل الجمعي من مجتمع الى آخر، وبين كل من المجتمعات التقليدية والمجتمعات الحديثة، وذلك يعود لتأثير العناصر سالفة الذكر ومكوناتها والافتقار إليها. فالمجتمعات التقليدية تألف جبروت العقل الجمعي سريعاً، بسبب كثافة عناصره ومكوناته. إذْ يلعب تغلغل العادات والتقاليد وقوة الانتماء التي تؤثث بنمط الأسرة الممتدة ونظام القرابة دوراً جوهرياً في طغيان العقل الجمعي في المجتمعات التقليدية، وإجبار الأفراد على الدخول في دائرة الامتثال الاجتماعي، أما في المجتمعات الحديثة فإن الأمر يختلف، لأن توهج العقل الجمعي في هذه المجتمعات يكون خافتا، بحضور ثانوي وعابر؛ ويعود ذلك إلى ضعف العوامل الرئيسية في بنائه، بسبب طبيعة المجتمعات الحديثة التي تمتاز بالاختلاف والتنوع.

ورصد عـالم الاجتماع الأمريكي لويس ورث مجموعة من الخصائص التي يتميز بها نمط العيش داخل المجتمعات الحضرية، والت تؤثر بشكل مباشر على صور الفعل الاجتماعي لـلأفـراد. وأهـم هذه الخصائص: الفمر المتزن، نفعية المصالح، تنافسية النشاط، تخصص المجال، ثانوية العلاقات، توتر المشاعر وتعدد الـولاءات.. وتشكل هذه الخصائص بدورها جسراً لشيوع فلسفة عيش جديدة داخل هذه المجتمعات وهي «الفردانية»، والتي تقاوم بدورها يفرضه «العقل الجمعي.»

ربمـا ضعف أو غياب السطوة العالية للعقل الجمعي في المجتمعات الحضرية، هو نتيجة محتومة لضعف العوامل المؤثرة في تشكيله الجواني؛ فعامل الدين والعادات والتقاليد، يتماهى بفعل الاختلاف والتنوع اللذين تألفهما المجتمعات الحديثة، وقوة الانتماء تضعف بسبب تعدد الجماعات وبالتالي تعدد ولاءات الفرد لها، إلى أن تصل إلى اندثار كلي للعقل الجمعي –في بعض المجتمعات الموغلة في التحضر–.

وأخـيرا فـإن العقل الجمعي هو كائن متسلط، ومناهض لأي تغيير، لأنه يملك القدرة على إعادة إنتاج نفسه باستمرار.

التقدمي

التقدمي العدد 212 - يوليو 2025 السنة 23 SDPA 499

رئيس التحرير: د.حسن مدن - مدير التحرير : فاضل الحليبي. سكرتير التحرير: عيسى الدرازي

شعر: علي الستراوي

لأحمد الشملان سلام

إنّـــه بيـــت لايغلـــــق!

ويغادرون ..
يتركون لنا صدق النوايا
احمدٌ والخصالُ فجرٌ ..
يمتدُ جسراً من الخُطى العاشقة
والحمامُ الذي يسافرُ في المعنى
ولا يغادِرنا ..
ولا يعرفُ من الجهات المختلفة
ما يعيدنا للخصام ..
كونه وطنٌ غرس جذوره في الحياة
قلمَّ احزاننا بفرح لايموت
ولا يعرف لمعنى الحزنِ مدى
يوقظ من الجذوة شعراً..

ومن الصمت بوحاً كبير السؤال
احمدٌ يا شجر العطايا ..
ويا بحرٌ على مائه سارت السفن
وانشغل البحارة بالغناء العفيف
ساعدٌ لايعرف التعب ..
ولا ينحني يوم مال الهوى
تداركت خطواته أي نعش طفا ..
سار قبل ان تسير جبانةً الموت
وقبل ان تختلف العصافير على حكاية
الرحيل ..
مضئ يقلمُّ احزاننا ..
ويتركنا للفضاء الكبير

عبر حكاية بدأت بتربة الارض ..
وانتهت بقبلة تشقُ الجدار
وتكتبُ ما لم يكتبه الخوف
سحابةٌ من مطر البرق ..
ومن رعد أوقظ القلب من غفوته
غادرتنا ..
ولم يغادرنا فعل نهرك في النبض
ولم نعيد لعبة الوقت ..
دون خيوط لا تنفكُ عن وجعنا
ولا نعرفُ دونك أنك حياة..
تمدُ اجسادنا بالدم .!

المواد التي تحمل أسماء كتابها لا تعبر بالضرورة عن رأي المنبر التقدمي
ص. ب: 21461 ت: 17780007 Altaqadomi.bh@gmail.com